

عادلة خاتون

صفحة من تاريخ العراق

تأليف

الدكتور عماد عبدالسلام رؤوف

الأستاذ بجامعة بغداد

الطبعة الأولى

بغداد - ١٩٩٧



تم التنضيد في: مكتب الجواد للطباعة والنشر

توزيع زين النقشبندي - شارع المتنبي

بغداد

ومطعمة اليتامى والبرايا
وكاسية الأرامل والعراة

(من قصيدة كتبت
على جامع العادلية الكبير)





مقدمة

للمرأة في بلادنا تاريخ لم يكتب لحد الان ، او في الاقل : لم تجمع اجزاؤه لتكوّن صورة متكاملة توضح الأدوار التي أدتها ، سواء أكانت سياسية ام اقتصادية ام ثقافية ام اجتماعية . وفي الواقع ، فان اشارات عديدة ، وان كانت متفرقة ، دلّت على اهمية ما ادته من تلك الادوار ، وما قامت به من اعمال ، وان كان المؤرخون قد سكتوا - الاّ قليلاً - عن بيان تاريخ المرأة في رسم معالم الحياة العامة للبلاد ، فليس ذلك لأنهم لم يروا فيه ما يستحق التسجيل ، وانما لانهم لم يرغبوا في تسجيل ما رأوا ، فكَتَبةُ التاريخ هم جميعاً رجال ، وقد كتبوه على وفق مفاهيمهم هم ، فليس من المتصور ان يُعنى أحدهم بتوضيح أثر المرأة في شأن يراه من شؤون الرجال خاصة ، كتولي حكم ، أو أدارة ، أو أتخاذ قرار مهم مثلاً . أما أذا كان ذلك الأثر قد برز من خلال الرجل نفسه ، أي بالتأثير المباشر أو غير المباشر على قرار رجل ، أو جماعة من الرجال ، فذلك ما لا يمكن الأفصاح عنه ، لأن من شأنه - في نظرهم - ان يحط من

قيمة ذلك الرجل ، او تلك الجماعة ، وهو ما كان يرفضه مجتمع تلك العصور رفضاً قاطعاً(١) .

وربما لاحظ القارئ ذلك العدد الوافر من الكتب التي اختصت بالحديث عن اخبار النساء ، من مثل الكتب التي تحمل عنوان " اخبار النساء " لمؤلفين من امثال : اسامة بن منقذ ، وابن الجوزي ، وابن حاجب النعمان ، وعلي بن محمد الظاهري ، وعلي بن محمد المدائني ، وهارون بن علي المنجم ، او تلك التي اختصت بوصف فئة منهن ، مثل كتب " القيان " و " القينات " لاسحاق الموصلي ، وللمدائني ، وكتاب " المتزوجات " لخالد الراويه ، و " المتظرفات " لاحمد بن ابي طاهر ، ومثله للوشاء ، وكتاب " المحبوبات والمكروهات " ، للرقي ، وغير ذلك(٢) ، الاّ ان عليه الاّ يتصور بأن هذه الكتب قد ارادت بيان دور المرأة في مجتمعها الاّ نادراً ، لأن اكثر تلك الكتب كتب عن المرأة اشباعاً لفضول الرجل ليس الاّ ، ومنها ما عمد الى اختيار النوادر والحكايات اثارة لقرانها من الرجال وتشويقاً لهم .

---

(١) يرى بريتراند رسل في دراسته لأشكال القوة ان هناك شكلاً آخر من أشكال القوة للأفراد ، وهي للقوة الخفية ، التي تمارس من وراء الكواليس ، كقوة البطانة والدساسين والعيون وجاذبي الخيوط ، ففي جميع المنظمات الضخمة (تشمل المنظمة هنا : الدولة) التي يملك المشرفون عليها تسلطاً كبيراً ، يكون هناك عدد من الرجال والنساء ، الأقل بروزاً ، الذين يحصلون على النفوذ بأساليب شخصية خاصة ، عن طريق تأثيرهم على القادة والزعماء ، وهم حينما يتولون وضع اصدقائهم بهدوء في المراكز المهمة ، فانهم يتحكمون في المنظمة في الوقت المناسب ، انظر رسل : السلطان ، آراء جديدة في الفلسفة والاجتماع ، ترجمة خيري حماد (بيروت ١٩٦٢) ص٥٧ - ٥٨ .

(٢) انظر مقدمة كتاب " مهذب الروضة الفيحاء في تواريخ النساء " لياسين بن خير الله العمري ، بتحقيق رجاء محمود السامرائي (بغداد ١٩٦٦) .

صحيح ان عدداً غير قليل من المؤلفين وضع كتباً في تراجم النساء ، او انهم الحقوا تراجمهن بتراجم الرجال ، الاّ ان هؤلاء المؤلفين صبوا تلك التراجم في قوالب محدّدة ، لا تختلف في مقاييسها عن تراجم الرجال انفسهم ، وهو ما يتجلّى عند مترجمي حياة العالمات منهن بوجه خاص ، حتى تكاد تنسى انك تقرأ ترجمة امرأة ، او كأنك لو غيرت بعض الضمائر ، لما اختلف شيء في سائر تفاصيل الترجمة . ومعنى هذا ان اولئك المؤرخين عَدّوا " قالب " الرجل ، هو القالب النموذجي الذي يمكن ان يسع المرأة ان هي " ارتقت " الى المستوى المثالي الذي يريده الرجل لنفسه .

اما ان تكون المرأة مرأة في افكارها ، وافعالها ، وردود افعالها ، فذلك لم يكن يتسع له اي قالب معد مسبقاً ، ومن ثم فلا يسمح باظهاره المؤرخون ، وان أظهروه فعلى اساس انه يدل على ضعف ، وينذر بشر على المجتمع ويبل !

ما اكثر ما قام به الرجل من مؤامرات ، وما دبره من مكائد سياسية ، بل وحوادث اغتيال .. الخ لكن لم يثر ذلك اهتمام احدٍ بوصفه امراً نشازاً او غريباً ، حتى اذا ما شاركت المرأة في شيء من ذلك ، عُدَّ من غرائب الأعمال ، ونوادر الحوادث ، والعجائب التي تنذر بخراب العالم ، غافلين عن ان للمرأة ايضاً دوافعها ، وطموحاتها ، وربما اطماعها ، فلا غرابة في ذلك اذن .

وكم هم الرجال ، من الخلفاء والملوك والأمراء ، ممن جمعوا بين اعمال الرفق ، والقسوة معاً ، فأنشأوا خزائن الكتب والمدارس والمستشفيات ، مثلما شاركوا في المؤامرات ، وقتلوا ، وعاقبوا ، ولم يثر ذلك استغراب مؤرخي سيرهم ، وانما عدّوه من طبيعة الملك واحكامه ، فاذا ما جمعت امرأة بين هذين الصنفين من الطبائع والاخلاق ، وُصفت بتناقض المواقف ، واضطراب الدوافع ، واختلاف المزاج .

واذا كان عدداً من المؤلفين في العصور الاسلامية قد تطرقوا احياناً الى تدوين أخبار المرأة ، بل صنفوا الكتب فيها ، وان كانت من نوع ما ذكرنا ، فان سكوتاً مطبقاً ران على مؤلفي العصور المتأخرة بهذا الخصوص . والكتابان الوحيدان اللذان جاءنا نبأهما هما " تاريخ نساء بغداد " تأليف محمد بن عبد الرحمن الرُّحبي (ت١١٩٧هـ/١٧٧٢م)(٣) و" الروضة الفيحاء في تواريخ النساء " لياسين ابن خير الله الخطيب العمري الموصلي (ت بعد ١٢٣٢هـ/١٨١٦م)(٤) واول الكتابين ضاع اثره ، فلم نعلم اي النساء ترجم لهن ، اما الثاني فهو يضم تراجم نساء " صالحات " واخريات " طالحات " استخرجها من التواريخ السابقة ، ولم يترجم لأية واحدة من المعاصرات .

ونحسب ان احجام المؤلفين عن الترجمة لمعاصراتهم يعود لنوع القيم الاخلاقية التي كانت تسود مجتمعات ذلك العصر ، وهي قيم تعد الاشارة الى المرأة ، فضلاً عن الحديث عنها ، امراً مكروهاً لا يجوز الخوض فيه ، بوصفه داخل في نطاق ما يسمى باسرار البيوت ، وهي اسرار امر الله تعالى بكتمانها ، غير مفرقين بينما هو كذلك فعلاً ، وبين ذلك الضرب من الاخبار التي لها صلة بالحياة العامة . وهذا ما نبّه اليه ، في الثقافة ذكية ، مؤرخ المماليك في بغداد سليمان فائق بك (ت ١٣١٤هـ/١٨٩٦م) حين انتقد سابقه المؤرخ رسول حاوي

(٣) اديب مؤرخ بغدادي ، من الاسرة الرحبية التي برز منها قضاة ومفتون وعلماء في القرن الثاني للهجرة (١٨ للميلاد) وربما شغل هو منصب القضاء . وله ، فضلاً عن الكتاب المذكور " تاريخ قضاة بغداد " . انظر كتابنا : التاريخ والمؤرخون العراقيون في العصر العثماني (بغداد ١٩٨٣) ص١٢٨ .

(٤) مؤرخ موصلي مكثر ، وله سنة ١١٥٧هـ/١٧٤٤م ودرس وقرأ على نفسه ، وتثقف بها ، وتأثر بأخيه المؤرخ محمد امين العمري في حبه للتاريخ وتآليفه فيه ، وكان شاهد عيان دقيق الملاحظة للأحداث الجارية في مدينته الموصل . وترك آثاراً عديدة معظمها في التاريخ والسير والتراجم . التاريخ والمؤرخون ص١٤٨ .

الكركوكلي (ت ١٢٤٢هـ/١٨٢٦م) في اغفاله الاشارة الى دور ام سعيد باشا والي بغداد(٥) في توجيه الامور في عهده ، فقال : " ان المرحوم رسول افندي في كتابه دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد [الزوراء] يعزو الفساد الذي استشرى على عهد سعيد باشا الى حمادي اغا ، ويعتبره المسؤول الاول عنه وعن كل ما حدث ، ولم يتطرق الى ذكر شيء من تصرفات السيدة الوالدة لانه لم يشأ ان يحشر اسماء النساء في مثل هذه الامور ابتعاداً عن القيل والقال "(٦) .

وعلى الرغم من ذلك السكوت ، فقد امدتنا سجلات الاوقاف المحتوية على نصوص الوقفيات والحجج الشرعية والاعلامات باسماء جمهرة كبيرة من النساء الفضليات ، اللواتي اسهمن في انشاء او تعمير مشاريع الخدمة العامة لمجتمعهن ، كانشاء المساجد والمدارس وخزائن الكتب وسقايات الماء والتكايا ودور القرآن ، والانفاق على طلبة العلم والمدرسين والأرامل والايتام ، وضروب كثيرة من مثل تلك الأعمال النافعة(٧) ، كما لم تعدم بعض تلك المنشآت نفسها من كتابات أثرية تشير الى ما قامت به هذه السيدة المحسنة او تلك من اعمال بناء او وقف او تعمير. هذا اضافة الى اشارات نادرة ، ومتفرقة ، الى نساء ذوات شأن في الحياة العامة ، مثل السيدة عادلة خاتون موضوع هذا البحث .

(٥) تولاها من سنة ١٢٢٨ الى ١٢٣١هـ/١٨١٣ - ١٨١٥م .

(٦) سليمان فائق : مرآة الزوراء (نشر بعنوان تاريخ بغداد) ترجمة عن التركية موسى كاظم نورس ، بغداد ١٩٦٢ ، ص٥٦ وللمقارنة أنظر رسول حاوي الكركوكلي : دوحة الوزراء ، ترجمة عن التركية موسى كاظم نورس ، بيروت (دون تاريخ) ص٢٦٩-٢٧٠ .

(٧) جمعنا تلك الاعمال من اصولها الخطية والوثائقية في كتابنا : تاريخ الخدمات التسوية العامة في العراق (المعد للنشر) .

اسرة وعهد

عـــاش العراق ، منذ اواخر القرن الحادي عشر للهجـرة (١٧م) احـوالاً مترديـة ، باتت تنذر بعواقب سياسية وعسكرية وخيمة ، ففي ذلك العهد ، انكشف ضعف افواج الينكجرية (الانكشارية) في المدن الرئيسة ، بعد ان توقف امدادها بالجند حسبما تقتضيه الانظمة العسكرية ، وأدت قلّة علوفاتهم (رواتبهم) الى كثرة حوادث تمردهم ، ونشوب الصراعات بين أفواجهم(٨) .

ولم يكن حال العراق ، المواجه لايران ، والمطل على الخليج العربي ، يسمح بمثل هذا الوضع العسكري الرخو ، فحاول ولاة متعاقبون ، في القرن المذكور ، ان يرأبوا هذا الصدع ، بالارتكان الى قوى القبائل المحلية ، بوصفها قوى ذات تقاليد وخبرة قتالية عالية ، وكونها تشكل النسبة الاعلى في السكان عهد

(٨) عد الينكجرية في عهود العثمانيين الاولى القوة الضاربة الرئيسة للدولة ، وكلهم من المشاة ومنهم في البحرية ، وقد توزعت اورطاتهم (افواجهم) في المدن الرئيسة في العراق ، كبغداد والموصل والبصرة ، وفي بعض القصبات الحدودية الشرقية ، وقدر عدد الفوج الواحد بنحو ٣٠٠ الى ٥٠٠ مقاتل .

ذاك ، بيد ان لازدياد الاعتماد على هذه القوى مساوءه التي تكافئ مزاياه ، وهو ما يتمثل في ان ازدياد احساسها بقوتها المتعاظمة ، من شأنه اثارة المتاعب للادارة نفسها ، وفرضها نفوذها على الولاة والمتسلمين وغيرهم من ممثلي السلطة المدنية في البلاد ، فضلاً عن تهديدهم طرق المواصلات ، بما يعنيه من تعطل التجارة . وكان تهديد التجارة ، مع جبي ضرائب الزراعة لحساب تلك القوى ، يعني أيضاً تقويض الحياة الأقتصادية كلها ، أما سكان المدن ففضلاً عن قلة نسبتهم الى سكان العراق في ذلك العهد ، فأن أكثرهم قد أنخرط في أفواج الينكجرية (الأنكشارية) التماساً لما يؤديه ذلك لهم من مزايا ، وما يدفعه عنهم من تعدٍ .

ولم يكن أمام الدولة العثمانية ، لتدارك هذا الوضع المتردي ، الاّ أن ترسل الى العراق ، في مطلع القرن الثاني عشر للهجرة (١٨م) أحد اكفا رجال ادارتها ، وهو حسن باشا بن مصطفى بك الايوبي(٨أ) ، ليجد لمشاكله ـ وما أكثرها ـ حلولاً ذاتية ، من شأنها تمشية أموره ، وتقوية دفاعاته ، دون أن يكلف تلك الدولة المركزية أية أعباء اضافية .

وما أن وطأت قدما حسن باشا أرض بغداد ، في ١٣ صفر سنة ١١١٦هـ/١٧٠٤م ، حتى بدأ في العراق تاريخان ، ، احدهما تاريخ التغيرات الأدارية والعسكرية والأجتماعية التي ستشهدها البلاد في عهده وثانيهما تاريخ أسرته الصغيرة نفسها بوصفها تمثل السلالة التي سيكون لها شأن في قيادة تلك التغيرات من بعده .

فأما التاريخ الأول فقد بدأ حين أحدث حسن باشا مدارس خاصة ، وأستورد الأرقاء البيض ، وهم أطفال صغار ، لينشأوا في ظل نظمها التربوية

(٨أ) نسبة الى حي الصحابي ابي ايوب الانصاري أحد أحياء استنبول القديمة .

الصارمة ، مكونين – بعد تخرجهم – قيادات أدارية وعسكرية جديدة ، لها من الأنضباط والكفاءة ما يمكنها من تولي شؤون البلاد المختلفة ، فكان هؤلاء هم الذيـن عرفـوا بـ (الكوله مند) أي المماليك . وقد نجح حسن باشا في تجربته الجديدة ، فكان هؤلاء المماليك خيرة الضباط الذين تولوا قيادة القوات العثمانية ، وجلّ افرادها من العراقيين ، الى أيران ، أثر انهيار الدولة الصفوية فيها ، والأستيلاء على العديد من القرى والأصقاع هناك(٩) .

أما تاريخ اسرته ، فبدأ حين تزوج – وهو مقيم يومذاك في القسطنطينية – من كريمة الوزير مصطفى باشا ، وتدعى عائشة . وكانت هذه "ذات الحسب الطاهر والنسب الفاخر"(١٠) ، فانجب منها ثلاثة أبناء ، هم أحمد ، وصفية ، وفاطمة . وبينما تزوجت فاطمة من عبد الرحمن باشا والي كركوك ، وتزوجت صفية قره مصطفى باشا والي طرابزون ، وصار لكل منهما أبناء واحفاد ، أنصرف احمد للحياة العسكرية رفقة ابيه ، وتولى ولاية بغداد وتوابعها بعد وفاة ابيه سنة ١١٣٦هـ/١٧٤٩م ، ولما كان الاخير قد توفي عند اسوار همذان ، في اثناء الحركات العسكرية العثمانية – الأيرانية آنذاك ، فقد قاد احمد باشا الجيش ومضى به الى همذان ففتحها ، فضلاً عن مناطق واسعة من غربي ايران ، ثم كان عليه ، بعد ان ظهر نادرشاه على مسرح الاحداث في ايران ، ان يقوي مدنه ، ويتصدى لهجوم ايراني بقيادة نادر المذكور . ولقد نجح المماليك في حالتي الهجوم والدفاع ، في اثبات كفاءتهم ، وحسن تدريبهم ، فمضى احمد باشا في توسعة مدارسهم ، والاكثار من جلبهم ،

(٩) بحثنا : القوى والمؤسسات العسكرية العراقية من الغزو المغولي الى اقصاء المماليك عن حكم العراق ، في موسوعة تاريخ القوات العراقية المسلحة ج١ (بغداد وزارة الدفاع ١٩٨٦) ص١٣٩ .

(١٠) عبد الرحمن السويدي : حديقة الزوراء (مخطوط) ج١ الورقة ٨٢

والعناية بتربيتهم(١٠أ) ، وقد رافق ذلك كله الاهتمام بتحصين بغداد ، وتعمير دار الحكم (السراي) فيها ، واقامة الثكنات للجيش في بعض انحائها ، فبدت بغداد في عهده صورة مصغرة من بلاط السلاطين ، تنشأ فيها القصور الجديدة على شاطئ دجلة ، ويُزيَّن دواخلها بآلات الزينة والفرش الجيد ، وتقام البساتين الغن فيما بين قصورها ، حيث تتنزه في افيائها اسرة الوالي ، في جو بهيج يتواءم مع حياة مدنية جديدة ، تخفي وراءها معالم نظام عسكري قوي .

في تلك الابهاء المستجدة ، ولدت لاحمد باشا ابنتاه الوحيدتان ، عادلة خاتون ، وعائشة خاتون . وعلى الرغم من ان المصادر تسكت عن وصف طفولة هاتين البنتين ، وظروف نشأتيهما ، الاّ ان لنا ان نتصور نوع الحياة التي عاشتاها ، وهي حياة تجمع بين معاناة الاقامة في مدينة قاصية عن عاصمة الدولة ، كثيرة المشاكل ، يهددها حكام ايران المجاورون بالهجوم بين حين آخر ، وتشيع فيها الفوضى ويقل الأمن ، وبين متعة تأسيس سلالة حاكمة حقيقية ، لها علاقاتها الخاصة بالسكان ، وباتباعها من المماليك وغيرهم ، ممن كانت تكتظ بهم ساحات السراي واروقة اجنحته الكثيرة . وفي الواقع فان نمطاً من حياة كهذه ، تجعل الحاكم قريباً من الشعب ، بعيداً عنه في الوقت نفسه ، ففي بغداد – لا كما هو الحال في العاصمة القسطنطينية – يرى الوالي واسرته افراد الشعب العاديين ، ويسمع نداءاتهم ، بمجرد ان يفتح نوافذ قصره ، ولكنه ايضاً يكون قريباً من مشاكل هذا الشعب ، فلا يستطيع ان يقف منها موقف التجاهل ، مهما كثر الحجاب الذين يفصلون بينه وبين الناس .

(١٠أ) سليمان فائق بك : تاريخ المماليك الكوله مند في بغداد ، ترجمة عن التركية محمد نجيب ارمنازي (بغداد ١٩٦١) ص٢٤-٢٥ وانظر :

Nieurwenhuis , T., Politics and Society in Early Modern Iraq (Amsterdam 1982) PP.13-16.

واذا كانت مدة حكم حسن باشا وابنه احمد باشا تمثل مرحلة جديدة غادرت فيها السلطة مظاهرها العسكرية السابقة ، لتتخذ لها مظاهر حكومة مدنية اكثر استقراراً ، فان هذه المظاهر كانت تخفي وراءها من طبيعة عصرها : دسائس ومؤامرات ، يدبرها اصحابها بسرية وصمت ، فينفذون مآربهم ، بعيداً عن استخدام القوة السافرة ، بما فيها من ضجة وقعقعة سلاح .

ومن ناحية اخرى ، فان توطيد حد أدنى من الامن في البلاد ، وازدهار التجارة ، اديا الى توفر الاموال لدى الوالي ورجال سلطته ، وهو ما تم توظيفه بعناية ، في استمالة القوى المؤثرة في الولاية ، وفي تجنيد مزيد من المماليك ، وفي انشاء العديد من المؤسسات الدينية والثقافية التي يلقى تأسيسها ، بعد مدة من الاهمال ، قبول الشعب ويحظى بتأييده . وستحذو الاسرة ، التي اصبحت الان اسرة حاكمة حقيقية ، حذو مؤسسها ، فتنشئ من هذه المؤسسات ما يكون سبباً في نشر ذكرها ، ويعزز من مكانتها بين الناس .

حديث النشأة

ان الاشارات القليلة التي نملكها عن حياة عادلة خاتون ، قبل زواجها سنة ١١٤٥هـ/١٧٣٢م ، تفيد بأنها ولدت من ام تدعى (كُلرخ خانم)[١١] اي جميلة الوجه . ولا ندري متى توفيت هذه الام ، ولكن يظهر انها تركت في نفس ابنتها من الذكرى الطيبة ، والاثر الباقي ، ما لم تكن تنساه حتى اواخر حياتها ، فاننا وجدناها تنشئ "لروحها" اول جامعيها ، وهو المعروف بالعادلية الصغير سنة ١١٦٠هـ/١٧٤٧م[١٢] . وتذكر بعض المصادر ان امها ابنة امير عربي[١٣] ولكنها لا تذكر اسم هذا الامير . وثمة اشارة لابراهيم بن عبد الغني الدروبي تفيد بانها ولدت سنة ١١١٢هـ/١٧٠٠م[١٤] ويعني هذا انها لبثت ٣٣ عاماً حتى

(١١) عبد الحميد عبادة : العقد اللامع في المساجد والجوامع (مخطوط) الورقة ١٠٨ .

(١٢) المصدر نفسه والورقة .

(١٣) انظر لونكريك : أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث (ترجمة جعفر خياط ، ط٤) الملاحق وجعفر خياط : صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة (بيروت ١٩٧١) ص١٤٧ .

(١٤) ابراهيم الدروبي : البغداديون (بغداد١٩٥٨) .

تزوجت ، وهو أمر يخرج على مألوف ذلك العصر ، ولا نجد تبريراً له ، خاصة اذا ما لاحظنا منزلة ابيها ، ووصفها بالحكمة والجمال(١٥) . واذ علمنا ان شقيقتها الصغرى تزوجت سنة ١١٦٠هـ/١٧٤٧م يكون من غير المتصور ان يفصل بين ولادة البنت الكبرى وزواج اختها الاخرى مدة تقرب من نصف قرن كامل . والأدعى الى القبول القول بان ولادتها حدثت في حدود سنة ١١٣٠هـ/١٧١٧م تقريباً ، لانها في هذه الحال تكون قد تزوجت وعمرها يبلغ خمسة عشر عاماً تقريباً ، وهو متوسط سن الزواج لمثلها في ذلك العصر .

وفي وسعنا القول بانها تلقت تعليماً جيداً بحسب مقاييس تلك العصر الثقافية ، مثلها في ذلك مثل سائر افراد اسرتها ، فأبوها احمد باشا ، قد اثبتت الايام ، وبخاصة في اثناء مدة ولايته الطويلة ، انه كان مثقفاً ، محباً للعلم واهله ، وهو اول وال يتبع سياسة تقريب العلماء ، وربما كانت صلته الحميمة بالشيخ عبدالله السويدي (١١٠٤ ـ ١١٧٥هـ/١٦٩٢ ـ ١٧٦١م) العالم الاديب ، خير انموذج على هذه السياسة الثقافية التي اتبعها(١٦) . وكانت اختها عائشة ، تتميز ـ على الرغم من طبيعتها الهادئة ـ بسعي محمود لأنشاء المساجد والمدارس(١٧) . وعرفت ابنة عمتها خديجة خانم بنت صفية خانم ، ووالدها هو قره مصطفى باشا والى طرابزون ، بأهتماماتها التاريخية ، فقد قربت اليها المؤرخ البغدادي المعروف عبد الرحمن السويدي (١١٣٤ ـ ١٢٠٠هـ/١٧٢١ ـ ١٧٨٥م) وكتب ، بطلب منها ، تاريخه لعهد حسن باشا واحمد باشا ، بعنوان " حديقة الزوراء في سيرة الوزراء " .

(١٥) عبد الرحمن السويدي : حديقة الزوراء في سيرة الوزراء (مخطوط) الورقة ١١٣ .

(١٦) كتابنا : عبد الله السويدي ، سيرته ورحلته (بغداد ١٩٨٨) ص٢١-٢٥ .

(١٧) ومن اعمالها تجديدها عمارة جامع قمرية في الجانب الغربي من بغداد ، المرتقي زمن بنائه الى اواخر العصر العباسي ، وذلك سنة ١١٦٣هـ/١٧٥٠م كما دل على ذلك التعمير مضمون الابيات المحررة على باب المصلى ، وموضع الوضوء . محمود شكري الآلوسي : مساجد بغداد وآثارها (بتهذيب الشيخ محمد بهجة الاثري ، بغداد ١٣٤٦هـ) ص١١٤ ـ ١١٥ .

واذا كانت النتائج تفصح عن مقدماتها احياناً ، فأن سيرة عادلة خاتون نفسها ، واهتمامها بانشاء المساجد والمدارس ، ووقف الكتب ، والعناية بارساء تقاليد خاصة بها ، كانت تدل على المستوى الثقافي العالي الذي حازته ، وما اتسمت به من ادراك لأهمية العلم والتعليم . وقد نوه عبد الرحمن السويدي بما اتصفت به من العلم والكرم والاخلاق القويمة(١٨) .

عاشت عادلة خاتون في قصر ابيها القريب من سراي الحكم(١٩) ببغداد ، السنين الاخيرة من حكم جدها القوي حسن باشا ، وهي السنين التي شهدت ملامح القوة والاستقرار في البلاد ، كما عاشت بعد ذلك شطراً من صباها ، قبل ان تتزوج في عهد ابيها احمد باشا ، في المدة التي تميزت بفتوحاته العسكرية في همذان واعمالها ، وبسط هيمنة العراق على مناطق واسعة من غربي ايران ، والسيطرة على ما كان متنازعاً عليه في عهد الصفويين السابق ، فزاد ذلك كله من اعتداد الفتاة بدور اسرتها في تقرير مصير البلاد التي قضى الله ان تكون وطنها ، وزادها اعتزازاً بمآثر جدها ، وأبيها ، بوصفهما قد ارسيا دعائم النظام القوي الجديد .

(١٨) حديقة الزوراء ، الورقة ١١٣ .

(١٩) كان الولاة ينزلون ، منذ عهد حسن باشا في قصر خاص مطل على دجلة ، شغلته وزارة المعارف (التربية) فيما بعد ، وجددته مديرية الآثار العامة مؤخراً ، اما سراي الحكم فهو المبنى المجاور للقصر ، الذي شغلته مديرية الشرطة العامة ، ومديرية شرطة السراي ، واخلاه مؤخراً ، ولم تكن مباني (القشلة) التي تقع جنوب هذين المبنيين قد اقيمت بعد .



مرحلة جديدة

اذا كان المؤرخون يعزون تزويج احمد باشا ابنته عادلة خاتون من مملوكه سليمان اغا (سليمان باشا ابو ليلة كما سيعرف فيما بعد) الى سبب مباشر ، هو اسراع الاخير الى انقاذ سيده من أسد حاول البطش به في اثناء ممارسته صيد الاسود في " هور عقرقوف " قرب بغداد(٢٠) ، فان اسباباً اكثر جوهرية كانت هي التي حتمت هذا الزواج ، بل وحددت تاريخه .

ففي عام ١١٤٤هـ/١٧٣٤م شهدت العلاقات العثمانية ـ الايرانية انعطافاً مهماً في صالح الدولة العثمانية وولاة العراق ، ففي ذلك العام تم لاحمد باشا الاستيلاء على همذان بجيش قدر عدد خيالته بـ ١٢٠٠٠ مقاتل ، عدا المشاة ، مع كمية كبيرة من الذخائر والمعدات .

---

(٢٠) هذا ما سجله نيبور عن افواه اهل بغداد في اثناء اقامته ببغداد . انظر رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن عشر ، ترجمة الدكتور محمود الامين (بغداد ١٩٦٥) ص٥٧ بينما يضع المؤرخون المحليون (حديقة الزوراء الورقة ١١٣ ودوحة الوزراء ص٢٨) حادثة خروج احمد باشا الى صيد الاسود في عقرقوف تالية لحادثة تزويجه عادلة خاتون ، ولا يشيرون الى دور سليمان باشا في انقاذ حياته .

وأثبت قادة هذا الجيش ، واكثرهم من المماليك الذين رباهم حسن باشا وابنه احمد باشا في المدارس العسكرية الخاصة التي انشأها ، مدى كفاءتهم واخلاصهم لقيادتهم ، وشدة انضباطهم . ولاح للجميع بانه لولا اولئك المماليك لما حقق الجيش كل ذلك النجاح في ارض لم يكن قد وطأها من قبل ، وفي ظل ظروف طبيعية ومناخية مختلفة ، وفي ضمن مساحات واسعة ، وعبر طرق امداد طويلة .

وكان اكثر الناس ايماناً بهذا الواقع ، احمد باشا نفسه ، فقد رأى فيهم نجاح التجربة التي بدأها ابوه حينما استقدم اولئك المماليك اطفالاً قبل جيل واحد تقريباً ، فها هم الاطفال قد كبروا ، وحذقوا اساليب القتال ، ولم يصبحوا قادرين على الحرب فحسب ، وانما على ادارة شؤون الدولة ، بما عرفوا به من اخلاص مقرون بتوفر مستوى موحد من التعليم الذي يؤهل لتسلم المناصب المهمة .

ولما لم يكن ثمة ولد ذكر لاحمد باشا مؤهل لتولي الولاية من بعده ، فقد بات من المعقول ان يتولاها أحد اقرب المماليك اليه ، واكثرهم اخلاصاً في نظره ، الا ان انتقالاً للسلطة كهذا ، كان يستلزم غطاءً شرعياً ، او مبررات شكلية قوية ، تقنع سائر المماليك بالولاء لزميلهم الذي سيجري اختياره والياً عليهم .

وكانت ثمة مؤشرات عدة تشير الى اختيار سليمان اغا ، ذلك المملوك الشجاع النابه ، لتولي هذا المنصب ، اهمها اختياره اولاً لشغل منصب (الكتخدا)(٢١) . وهو اهم منصب في الولاية بعد الوالي نفسه ، ويتولى صاحبه مساعدة الوالي في تصريف شؤون الحكم كافة ، فضلاً عن كونه المرشح الاول لتولي منصب (الوالي) بعده ، وبخاصة في الولايات التي تتولى فيها السلطة أسر وراثية حاكمة .

---

(٢١) اصطلاح مركب ، بمعنى صاحب الدار ، وقد يخفف الى كاهيه ، وكهيه ، وكخيا . وانظر قائمة بكتخدائية بغداد في كتابنا الاسر الحاكمة ورجال الادارة والقضاء في العراق في القرون المتأخرة (بغداد ١٩٩٢) ص٨١-٨٢ .

ولا شك في ان زواجاً يجري عقده بين هذا المرشح ، وبين كبرى بنات أحمد باشا ، من شأنه تقديم المبرر الكافي لتأسيس اسرة حاكمة حقيقية ، تتولى مقاليد السلطة في بغداد وراثة ، وهي تجربة لم تكن لها سوابق في تاريخ الولاية منذ قرون ، وكما كان يحدث في بعض الدول في العصور القديمة ، كان الزواج المذكور يمثل " زواجاً ملكياً " بكل معنى الكلمة ، فعن طريقه انتقلت السلطة فعلاً الى ذلك الزوج السعيد ، بحسبانه سيؤسس اسرة حاكمة جديدة .

ويقدم لنا عبد الرحمن السويدي ، عند حديثه عن هذا الزواج ، وصفاً شائقاً لعادلة خاتون ، فهي جميلة ، ذكية ، ذات اخلاق حسنة ، فيقول : " زوّج [احمد باشا] في السنة الخامسة والاربعين ابنته درة الغوّاص ، وظبية القنّاص ، صالحة وقتها وزمانها ، وزاهدة عصرها وأوانها ، كريمة الشمائل ، جميلة الخصائل ، ذات الجمال الباهر ، والكمال الظاهر ، والحلم الوافر ، والعقل المتكاثر ، والحسب الذي أربى على غمدان ، وناف على الخورنق وشهلان ، العفيفة المُديّنة ، ذات الاخلاق الحسنة عادلة خانم "(٢٢) .

(٢٢) حديقة الزوراء الورقة ٢١٣ .

دور متعاظم

وشاء الله ان تكدر صفو حياة الزوجين حوادث جسام ، وظروف مدلهمة ، فلم تكد تمضي اشهر قليلة على حفل زواجهما ، حتى هاجم نادر شاه بجيوشه الكثيرة مدن العراق الرئيسة ، وحاصر بغداد ، لتجري في ضواحيها معارك حامية ، دافع فيها البغداديون بكل بسالة(٢٣) وتكرر الحصار مرة اخرى سنة ١١٥٦هـ/١٧٤٣م . ولم تشهد اسرة احمد باشا استقرارها الا بعد مقتل نادر شاه نفسه سنة ١١٦٠هـ/١٧٤٧م ، وانتهاء الصراع بموته . وكان اول تباشير ذلك الاستقرار تزويج احمد باشا ابنته الصغرى عائشة خاتون من احد كبار موظفيه احمد اغا في ذلك العام(٢٤) وقد اقترن هذا الحادث السعيد بتعيين سليمان باشا متسلماً للبصرة في اواخر جمادى الاخرة ١١٦١هـ/١٧٤٨م فسافر اليها ليتولى منصبه الجديد ، وبالطبع فقد التحقت به زوجته عادلة خاتون ، لتعيش في البصرة بضعة اشهر قبل ان تعود الى بغداد في ٢٧ ذي الحجة من سنة ١١٦٣هـ/١٧٥٠م(٢٥) .

(٢٣) المصدر نفسه الورقة ١١٨ ودوحة الوزراء ص٣٠ .
(٢٤) حديقة الزوراء الورقة ٢٢١ .
(٢٥) عباس العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ج ٦ (بغداد ١٩٥٤) ص١٧ .

وجاءت وفاة احمد باشا في السنة نفسها ايذاناً ببدء مرحلة جديدة ومهمة في حياة عادلة خاتون ، فوفقاً لما اراد الوالي المذكور تولى سليمان باشا (اغا سابقاً) منصب (والي بغداد)(٢٦) جاعلاً هدفه الاول توطيد الامن وازاحة الفوضى التي خلفتها حروب نادر شاه من قبل . وهكذا غدت عادلة خاتون ، زوجة الرجل الاول في العراق ، وهو أمر من شأنه ان يحقق طموحاتها في توجيه الحوادث والمشاركة في الحكم .

ولقد اطنب المؤرخون في تصوير قوة سليمان باشا وحزمه في ادارة البلاد ، وفي قدرته على اتخاذ القرارات المناسبة في اثناء الازمات(٢٧) ، وفي حبه للعمران ، الا ان مؤرخاً واحداً منهم لم يذكر دور تلك السيدة القابعة في قصرها ، في التأثير على الحوادث ، وفي اتخاذ تلك القرارات . ولا نشك في ان سبب ذلك السكوت يعود الى موقف المؤرخين السلبي من تناول احاديث النساء ، مما أشرنا اليه في مقدمتنا لهذا البحث . الا ان رجلاً واحداً ، غريباً عن اهل البلاد ، كان يعيش في تلك الاثناء في بغداد ، لاحظ اهمية الدور الذي تضطلع به هذه السيدة وقوة نفوذها في البلاد ، وهيمنتها على كبار موظفي الولاية ، ذلكم هو الرحالة الالماني الاصل ، كارستن نيبور ، الذي كان قد دخل بغداد في خريف سنة ١٧٦٥م (١١٧٩هـ) ولبث فيها حتى الاول من آذار سنة ١٧٦٦م (١١٨٠هـ) ، فقد اورد هذا الرحالة ، في كتاب رحلته ، ما يدل على ان هذه السيدة الحازمة كانت وراء اكثر قرارات زوجها حزماً ، وربما كانت الموجهة الرئيسة لسياسته ، فكشف من ثم ما اراد المؤرخون المحليون السكوت عنه في كتاباتهم .

---

(٢٦) صدر امر تعيينه اواسط محرم ١١٦٢هـ ودخل بغداد (وكان قبل ذلك متسلماً للبصرة) في ٢٩ شوال من السنة نفسها .

(٢٧) يقول الكركوكلي (دوحة الوزراء ١٣١) انه كان يقمع الفتن بكل جسارة واقدام ، مما جعل الجميع يهابون سطوته ولا يجسرون على الخروج عليه .

لم تنس عادلة خاتون ، وهي زوجة والي بغداد سليمان باشا ، انها ابنة سيد زوجها ومالكه السابق ، الوزير احمد باشا موطد حكم المماليك في العراق ، وحفيدة الوزير حسن باشا مؤسس ذلك النظام وباذر بذرته الاولى . ويظهر ان سليمان باشا نفسه لم يكن لينسى تلك الحقيقة ، ولا يبعد انه شعر بشيء من النقص تجاه زوجته الجميلة لهذا السبب . فهذا ما يفسر اطلاق يدها في شؤون الحكم ، مع ما عرف عنه من كفاءة وقدرة على تصريف تلك الشؤون ، وفي الواقع فان مجمل القرائن المتوفرة ، من شخصية قوية ، واعتداد مطلق ، وتجارب متنوعة ، وشعور بالتفوق ، كان يؤدي الى تجاوز حد التدخل في شؤون الحكم ، الى المشاركة الفعلية في ادارة حكومة الولاية . ولو كان الامر مقتصراً على قبول توسط بعض الناس لديها لنقل رغباتهم الى الوالي ، او التدخل في تعيين موظف احياناً او عزله ، لما بدا الأمر خارجاً على المألوف ، فتلك أدوار تؤديها نساء الولاة في ذلك العصر عادة ، وهو ما كان يجري في قصر الوالي ، ولا يصل خبره الى عامة الناس الا نادراً ، اما ان يصل امر ذلك اليهم ، حتى يصبح مثار انتقادهم ـ كما يذكر نيبور ـ(٢٨) فهذا ما يؤكد ان الامر كان يتجاوز كل نطاق مألوف عهد ذاك .

ويمكن القول بانه لم تكن لدى عادلة خاتون ، في عهد سليمان باشا ، اهداف خاصة بها ، مستقلة عن سياسة زوجها ، وانما كان هدفها هو التعبير عن شخصيتها فحسب بفرض ارادتها على الحكم . ومن المحتمل ان كثيراً مما أثر عن زوجها من قرارات كان من وحي تأثيرها هي ، او انها كانت ـ في الحقيقة ـ قراراتها هي . ألم يطلق يدها في الحكم طيلة مدة ولايته ، وجعلها الآمرة الناهية

---

(٢٨) نيبور : رحلة ص٥٩ .

في جميع الشؤون دون ان يتدخل هو في اي منها ، حتى عدت "كلمتها هي العليا" ؟ وعلى الرغم من وصفه بالاستبداد والقوة ، أليس هو الذي كان يسمح لها بنقض قراراته جميعاً ، فضلاً عن قرارات مساعديه (الكتخدائيين) على ما في ذلك من اثارة لمشاعر الناس ، وهؤلاء بخاصة ؟

بيد ان مشاركة عادلة خاتون في ادارة البلاد ، لم تكن تعبر دائماً عن ضعف في شخصية زوجها ، بقدر ما كانت دليلاً على تقديره لآرائها ، واحترامه لاسلوبها في العمل ، والنماذج القليلة من اعمالها ـ مما وصلنا خبره ـ تؤكد ما ذهبنا اليه ، اذ خلت تلك الاعمال من اي طابع شخصي خاص ، وجميعها مما يمكن عدّه اعمالاً عامة تأتي في خدمة النظام كله .

ففي ظل تعدد الولاءات ، وتضارب مصالح الموظفين الكبار ، وتردد زعماء القبائل في تأييد النظام ، كان لا بد من تكوين تكتل شعبي يسند الحكم ويدعمه ، ولقد أخذت عادلة خاتون على عاتقها المضي في تلك المهمة الصعبة ، فسعت الى كسب تأييد " الاغوات " (وهم الضباط والموظفين الكبار) وزعماء القبائل العربية ، وذلك بانها كانت " تأمر زوجها بتقديم الهدايا من الفراء (فروة وكرك) للاغوات ، والعباءات ذوات الاكمام القصيرة الى الشيوخ " بل انها سعت الى تكوين ما يشبه ان يكون تنظيماً ينتظم في سلكه اولئك الموظفين والضباط (الاغوات) الكبار الذين اثبتت الحوادث كفاءتهم ومدى اخلاصهم لأبيها احمد باشا وجدّها حسن باشا فكانت تهدي هؤلاء اغطية للرأس (الكفافي والغطر) من الحرير ، التي تنسج خصيصاً لهذا الغرض " حتى يتميزون عن غيرهم اثناء الاحتفالات والمهرجانات الرسمية " وكان الحصول على تلك الهدايا يعد تشريفاً لهم ينالون بها احترام الناس . ولاستكمال شكل التنظيم ، والاتصال المباشر

بالناس ، فقد عمدت عادلة خاتون الى عقد اجتماعات خاصة ، او تحديد ايام خاصة بالمقابلات ، تلتقي فيها بالناس ، من وراء حجاب ، وتستمع لشكاواهم وتحكم بينهم بنفسها ، وبقدر ما كانت هذه الاجتماعات واللقاءات تزيد من نفوذها ، وتقوّي من مركزها فانها كانت احدى وسائلها للأتصال بالناس مباشرة ، ومعرفة " كل ما كان يدور في البلد "(٢٩) .

ويذهب لونكريك الى تصور ان عادلة خاتون قد اسست جمعية منظمة لأتباعها المقربين الذين كانوا يعرفون بشارات حريرية خاصة بهم ، وان اجتماعاتها الدورية تلك كانت خاصة بتلك الجمعية وانها " كانت تستقبل في بيتها الزائرين من الجنسين "(٣٠) . وزاد ريجارد كوك قوله انها اسست مجلساً (صالوناً) كانت تتصدره ويحضره جمع من المعجبين بها من الجنسين ، وكان الحاضرون فيه يتميزون باتخاذ شارة خاصة بهم(٣١) .

وبالطبع فان تصوير لونكريك وكوك للأمر على هذا النحو فيه أثر واضح لخيال اوربي معاصر . والا فلم يكن مقبولاً على الاطلاق ـ اجتماع الرجال والنساء في اي مجلس كان ، فضلاً عن مجلس ترأسه زوجة الوالي نفسه . كما لم تكن المرأة ـ عهد ذاك ـ في موقع القوة السياسية حتى يكون لدعوتها حضور مثل تلك الاجتماعات ، او الانخراط في ذلك التنظيم ، تأثير ما في تصريف الشؤون العامة .

---

(٢٩) نيبور ص ٦٠ .
(٣٠) لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث (ترجمة جعفر خياط ، الطبعة ٤) ص١٢٣ .
(٣١) كوك : بغداد مدينة السلام ، ترجمة د. مصطفى جواد وفؤاد جميل ، ج ٢ (بغداد ١٩٦٨) ص٨٩ .

ومن ناحية اخرى ، فان نيبور صرح بالطريقة التي كانت تخاطب بها الرجال . فقال : " وكانت عادلة خاتون لا تظهر للناس علانية اتباعاً للتقاليد المفروضة آنذاك على كل سيدة مسلمة ، ولذلك فقد كانت تقف في مخدعها وتكلم الناس من وراء حجاب وعن طريق احد مماليكها(٣٢) الذي كان يحمل لها عرائض الشكوى ويأتيهم منها بالجواب عليها ايضاً " .

(٣٢) ويعرف بحرم اغاسي .

دور عسكري

لم يقتصر دور عادلة خاتون على المشاركة الفعلية في الشؤون الادارية السلمية للولاية ، وانما امتد الى الجانب العسكري ايضاً ، فبحكم امساكها بمقاليد السلطة الفعلية ، وهيمنتها المطلقة على شؤون الحكم ، فانها أنفذت حملة كبيرة يقودها زوجها الوالي نفسه للقضاء على تمرد سليم باشا البابانى حاكم امارة بابان(٣٣) (مركزها : قلاجوالان على احد فروع الزاب الكبير) . ويذكر نيبور ان عادلة كانت ، في انفاذها تلك الحملة ، تنتقم لابيها والى بغداد احمد باشا الذي توفي في اثناء حملة له لتأديب تلك البابانى المتمرد ، في منطقة دلّي عباس (المنصورية حالياً) سنة ١١٦٠هـ/١٧٤٧م(٣٤) . ولا نظن ذلك القول الا من

(٣٣) هو سليم باشا بن بكر بك بن الفقيه احمد ، والاخير هو مؤسس الامارة البابانية وقد تولى سليم باشا امارة بابان اول مرة في ١١٥٦هـ/١٧٤٣م ولبث فيها اميراً حتى تاريخ انفاذ هذه الحملة . كلوديوس جمس ريج : رحلة ريج في العراق عام ١٨٢٠ ترجمة بهاء الدين نوري (بغداد ١٩٥١) ص٣١٥ و ٣١٩ وانظر توفيق قه فتان : ميزووي حوكمدارانى بابان له قه لاجوالان (بغداد ١٩٦٩) ص٦١-٦٢ .

(٣٤) عباس العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ج٥ (بغداد ١٩٥٣) ص٢٨١ .

نوع كلام العامة الذي التقطه نيبور من افواه من قابلهم اثناء اقامته ببغداد ، والاّ فان الحملة تأتي في سياق الاعمال العسكرية التي يستوجبها توطيد الامن في البلاد ، واقرار سلطة الدولة . والامر كان يتجاوز رغبة سيدة في الانتقام لابيها ، الى ان يكون عملاً موجهاً ضد حركة انفصالية حقيقية ، فقد كان سليم باشا " موضع شك وارتياب من ايام نادر شاه ، اذ كان يتقرب الى الايرانيين ويرتبط معهم بالاتفاقات ، ويظهر العصيان والتمرد وعدم الطاعة للأوامر التي يتلقاها من الوزير [سليمان باشا] " وزاد من خطورة حركته انه اتفق مع متصرف كوي سنجق عثمان باشا واعلن الانفصال والاستقلال " وراح كلاهما يصولان ويجولان في المنطقة الكردية ويستوليان عليها شيئاً فشيئاً " فهي حركة انفصالية اذن تجد لها عوناً من الحكومة الايرانية عبر الحدود المشتركة بين الدولتين ، وكان امر القضاء على الحركة مهماً لان من شأنه ان يعطي درساً للزعماء المحليين الاخرين لكيلا يستغلوا انصراف الدولة لمحاربة الاعداء الخارجيين ، فيقومون بارباك الوضع الامني في البلاد ، او القيام بحركات انفصالية مشابهة . وفي الواقع فان اجراء عادلة خاتون كان صائباً وحازماً لايقاف التداعي الذي قد ينذر بعواقب اكثر خطورة . وقد نجحت الحملة بالفعل في القضاء على المتمردين واضطر سليم باشا نفسه الى اللجوء ، باتباعه ، الى الاراضي الايرانية ، بينما تمت ملاحقة متصرف كوي سنجق عثمان باشا واسر اتباعه واعدامهم(٣٥) .

ويذكر نيبور ان سليمان باشا استطاع بعد عدة محاولات ان يقضي على سليم باشا البابانى وذلك بعد ان ارسل اليه " التأكيدات الكافية على اخلاصه وصداقته وارسلت له عادلة خاتون كوفية من الحرير تأكيداً لهذه

(٣٥) المصدر نفسه ص١١٧ .

الصداقة ودليلاً على عفو الباشا والصفح له " وان سليم باشا حينما وصل الى بغداد متأثراً بتلك الوعود " قبض عليه والقي في السجن ثم خنق في اليوم الثاني "(٣٦) وبينما يذكر نيبور ان عادلة هي التي كانت تحرض زوجها على الانتقام لها من سليم باشا ، يشير القنصل البريطاني في بغداد كلوديوس جمس ريج الى ان سليم باشا شنق في بغداد بمكائد دبرها له قريبه سليمان باشا بن خالد باشا البابانى حاكم قلعة جوالان سنة ١١٧١هـ/١٧٥٧م(٣٧) وعلى اية حال ، فان تهمة التعاون مع الاجنبي من اجل تحقيق الانفصال كانت سبباً كافياً للحكم عليه بالاعدام ، ولم يكن في الامر اغتيال او غدر ، بدليل ما يذكره ريج بانه قتل شنقاً ، ولو كان الامر خلاف ذلك لقضي عليه بطعنة نجلاء ، او رصاصة من بندقية مختبئة ، او بالخنق في الاقل كما يذكر نيبور .

ويشير نيبور ايضاً ، فيما نقله عن افواه بعض من التقى بهم في بغداد ، الى عداء كان مستحكماً بين عادلة خاتون وشقيقتها الصغرى عائشة خاتون ، حتى انها حرضت زوجها سليمان باشا على قتل زوج اختها احمد اغا ففعل .

وسبب هذا التحريض كما - يذكر نيبور نفسه - هو اتهام احمد آغا بالتدبير لمؤامرة يغتال فيها سليمان باشا وينصب نفسه والياً على بغداد ، وفي الرواية ، كما نرى ، مآخذ عدة ، منها ان وزيراً لم يذكر اسمه(٣٨) ، حرض احمد آغا فعلاً على التآمر على سليمان باشا ،

(٣٦) نيبور ص٦١ .

(٣٧) رحلة ريج ص٣١٩ .

(٣٨) يظهر من سياق كلام نيبور انه (القابوجي باشي) ذلك الموظف الذي كان يرسله السلطان للتخلص من الولاة غير المرغوب فيهم ، وكان لاحمد باشا قد تخلص من واحد منهم قبل هذا كما في رحلته ص٥٦ .

وان احمد اغا نفى ذلك ولا شك ان مصدر القول بالنفي كان هو احمد اغا نفسه ، وهو امر منطقي ليدرء عنه العقوبة التي تنتظره من جراء فعلة كهذه ، فلا يحتاج الامر الى تحريض اذن ، ثم ان تصميم عادلة على قتله ، لمجرد انه زوج اختها التي تخاصمها ، فيه قسوة متناهية لا مبرر لها ، وميل للايقاع باقرب الناس اليها ، والسبب الذي اشير اليه لا يكفي لاقناع احدٍ بأنها هي التي دبرت ذلك او دفعت اليه اللهم الا اذا كانت التهمة حقيقية فعلاً ، ومن ثم يكون عقابه قد جرى بامر من الوالي مباشرة . ومما يرجح ما ذكرنا ، ان علاقة سليمان باشا باحمد اغا كانت طيبة للغاية ، فلو لم تكن ثمة مبررات قويه لما اقدم الاول على قتله . وعلى اية حال فان مصدراً تاريخياً محلياً لم يشر الى اعدام احمد اغا اصلاً ، وواضح ان نيبور لم يدقق كثيراً فيما كان ينقله من اشاعات ، فضلاً عن انه لم يذكر مصادر معلوماته .

وجاءت وفاة والي بغداد سليمان باشا في اوائل سنة ١١٧٥هـ/١٧٦١م ، لتنهي عهداً دام اربعة عشر عاماً ، مارست فيها عادلة خاتون نفوذها المطلق ، بيد ان وفاته لم تنه ذلك النوع من الاشاعات عنها ، ومفاد الاشاعة الجديدة ان عادلة خاتون شاركت بصورة غير مباشرة في قتل والي بغداد التالي ، وهو الزوج الثاني لشقيقتها عائشة خاتون ، علي باشا (١١٧٦-١١٧٧هـ/١٧٦٢-١٧٦٣م) وتعيين (كتخداه) اي مساعده ونائبه عمر باشا(٣٩) والياً مكانه ، وتفصيل الامر ـ كما نقله نيبور ـ ان عادلة خاتون لما ضاقت ذرعاً بتجاهل علي باشا لها ، وعدم سماحه لها بالتدخل في شؤون الحكم ـ عملت على الاسراع بانهاء حكمه ، وذلك بتحريض

(٣٩) وكان علي باشا يومذاك متسلماً للبصرة وضابطاً للحسكة (الديوانية فيما بعد) واما الكتخدائية الآخرون ، فهم عمر ، واسماعيل ، وعبد الله ، ورستم ، وحسن ومحمود " وكل واحد من هؤلاء يتمنى من قلبه ان يكون هو الخلف لسليمان باشا " (دوحة الوزراء ص١٣٣) .

مساعديه (كتخداواته ، كهياته) على قتله بحجة انه ينوي التخلص منهم واحداً بعد آخر(٣٩) . وتنسى هذه الرواية ان عادلة خاتون ، لم يكن لها ، بعد وفاة زوجها ، من النفوذ ما يسمح لها بتدبير امر كهذا ، وان حقد الكهيات على علي باشا كانت له اسبابه السابقة على توليه الحكم اصلاً ، وان هذا الحقد استعر منذ لحظة توليه اياه ، وانهم دبروا ثلاث مؤامرات في الاقل لاغتياله ، فشلت الاوليان منهما ، الا ان قسوته في القضاء على زعماء الجيش في بغداد ، هو الذي اثار مخاوف الكهيات من ان يكون دورهم هو التالي ، فاسرعوا في تنفيذ مؤامرتهم الاخيرة التي انتهت بقتله(٤٠) ، وكان الاولى بعادلة خاتون ـ لو كانت تملك نفوذاً ما ، او كانت تنقم عليه ـ ان تحول دون اختياره والياً قبل كل شيء ، خاصة وانه كان مثل سلفه ، زوجاً لشقيقتها عائشة خاتون تزوجته بعد وفاة زوجها السابق علي باشا ، والوقائع الاخرى تشير الى ان عادلة خاتون كانت قد بلغت ، عند تولي علي باشا الحكم السنة السادسة والاربعين من عمرها في ادنى تقدير ، وقد تفرغت منذ سنوات قبله لانشاء مبراتها العديدة التي سنأتي للكلام عليها فيما بعد ، ويبدو انها لم تظهر ، بعده ، اي طموح للتدخل في الحكم ،

(٣٩) نيبور ص٦٢ وقد سمع أوليفييه هذه الأشاعة في اثناء وجوده في بغداد سنة ١٧٩٤-١٧٦٩ انظر رحلة أوليفييه الى العراق ، ترجمة يوسف حبي (بغداد ١٩٨٨) ص١٠٢ ويشير ج.ج. لوريمر الى الحادثة مصدراً اياها بقوله (ويعتقد أن ...) وواضح أنه ينقل هنا أعتقاد نيبور نفسه (دليل الخليج ، ترجمة ديوان امير قطر ، القسم التاريخي ص ١٧٩٨-١٧٩٩) .

(٤٠) يقول رسول حاوي الكركوكلي ان اولئك الكتخدائية " اغاضهم انتخاب علي باشا من بينهم وتعيينه والياً بدلاً من احدهم ، وراحوا ينصبون الحبائل والشراك منذ يوم توليته للايقاع به . وكان الحسد يأكل قلوبهم ويزداد حقدهم كلما ازداد علي باشا ثباتاً ورسوخاً في الحكم " (دوحة الوزراء ص١٣٧) .

مع ان مـن المـفروض ـ بحسب الاشاعة نفسها ـ انها هي التي عينت خلفه عمر باشا ، ولو كان الحكم هدفها لمارسته في اثناء هذا الخلف ايضاً(٤٠أ) .

وفي عهد عمر باشا هذا ، توفيت عادلة خاتون سنة ١١٨٢هـ/١٧٦٨م عن عمر تجاوز الخمسين عاماً ، فدفنت عند قبري ابيها احمد باشا وجدها حسن باشا قـرب ضـريح الامام الاعظم فـي بغداد ، ولبث قبرها شاخصاً هناك حتى نقل متـولو اوقافها رفاتها الى باحه المحكمة الشرعية التي اوقفتها ومنها الى حجرة فـي مبنى المحكمة ، عند اعادة بنائها سنة ١٩٣٤ .

(٤٠أ) يـذكر لـوريمـر أن مجلسـاً من الرؤساء في بغداد هو الذي أقترح أسم عمر باشا ثم صدق عليـه الباب العالي ، ولم يكـن ذلك بـرضـا عـادلة خاتون (دليل الخليج ، القسم التاريخي ص ١٧٩٨-١٧٩٩ .

مآثر ومبرات

ولعادلـة خاتون مآثر ومـبرات كثيرة ، ذات نفـع عـام ، جعلتها فـي خدمـة بيئتها ومجتمعها ، ورصدت عليها العقارات الواسعة للأنفاق مـن وارداتها عليها ، ولدفع رواتب العاملين فيها ، ولذا فقـد لبثت تلك الاعمـال باقيـة ، شـاخصة ، حتـى عهـد قريب ، ومنهـا ما زال قائمـاً يؤدي مهمتـه ، وفقاً لشـرط الواقفـة ، الـى اليوم . وفـي الواقع فان ما انشأته من مبرات كـان هـو الجـزء البـاقي مـن اعمالـها بعد وفاتها ، اما ما كانت تقوم به يومياً من اعمال بر وخير ، فذلـك مـا لا نجـد من الوثائق ما يدعمه ، الا بيتين من قصيدة كتبت على جامعها المسمى جـامع العادليـة الكبير . هما :

ومطعمـة اليتـامى والبرايا ... وكاسية الأرامـل والعـراة

تجدد كل يـوم فعـل خير ... ومن حسنى صنيع الصالحات

وفـي الابيـات الاخرى ما يفهم انها كانت " ام صلات " و " ذات هبات"(٤١) .

ومن مبراتها المشهورة ما يأتي :

١. جامع العادلية الصغير

كان هذا الجامع يقع في المحلة التي عرفت "بالدنكجية" من محلات الجانب الشرقي من بغداد(٤٢) ، قريباً من جسر بغداد الوحيد يومذاك (وقد انشئ عنده ، فيما بعد ، جسر المأمون او الشهداء الحالي) وارضه داخلة اليوم في المرآب الكبير ذي الطوابق المتعددة المقابل للمتحف البغدادي . شيدته عادلة خاتون سنة ١١٦٠هـ/١٧٤٧م احياء لذكرى والدتها كُلرخ خانم .

وقد وصف الحاج امين المميز هذا الجامع ، كما رآه في صباه ، بما يأتي " هو يتكون من الحرم (يريد المصلى او بيت الصلاة) والطارمة الواقعة امامه ، وغرفة الامام ، وغرفة الخادم والمرحاض . وتتوسطه حديقة صغيرة فيها ثلاث نخلات "(٤٣) .

---

(٤١) تاريخ مساجد بغداد الورقة ٢٠ (مخطوط) .

(٤٢) يذكر الحاج امين المميز ، وهو الذي عاش سني طفولته وصباه في هذه المحلة بأنه سمع من الشيبة والعجائز انها نسبت الى جهاز يعرف بالدنك منصوب في دكان في عقد الصخر (قريب من سوق الصفافير حالياً) ويستعمل لتهبيش التمن ، وهو عبارة عن صخرة كبيرة مشدودة الى ذراع طويل من الخشب يشبه العتلة ، فيرفع الصخرة عدد من العمال ثم يهوون بها على التمن فتهبشه (اي تفصل السحالة عن حبات التمن الصحيحة) (بغداد كما عرفتها ، بغداد ١٩٨٥ ، ص٩٠) .

(٤٣) المصدر نفسه ص١٨٠-١٨١ ولما تزل هذه النخلات باسقة في موضعها ولم تمسها يد القطع ، على الرغم من ازالة الجامع نفسه ، وكان ذلك بسعي محمود بذله الاستاذ الحاج امين المميز لدى امانة بغداد في حينه لتبقى شاهداً على مكان ذلك الجامع الشريف (من المؤسف أن احدى النخلات الثلاث قد قطعت قبل طبع هذا الكتاب بسنين قليلة) .

ووصفه في مفتتح هذا القرن السيد محمود شكري الآلوسي بقوله : "هو مسجد صغير حسن الوضع ، قرب الجسر اليوم في الجهة الشمالية منه ، وهو من المساجد التي تقام فيها الجمع والأعياد وسائر الصلوات ، وقد تداعى للسقوط فجدد عمارته متولي اوقافه سنة ثمان عشرة بعد الثلثمائة والألف "(٤٤) (=١٩٠٠م) .

وقال السيد محمد سعيد الراوي : " هو جامع صغير واقع على يسار السالك من سوق الصفارين على طريق الجسر عند منتهى الدرب الواقع امام بناية مطبعة الحكومة(٤٥) . وهو جامع مشتمل على مصلى وصفّة امامه ، وحجرتين عند مدخل الباب على يسار الداخل متجهة بابها نحو القبلة . ويدار هذا الجامع من قبل المتولي الذي يلي اوقاف جامع العادلية الكبير ، وهو ايضاً من ابنية المرحومة صاحبة الخيرات عادلة خاتون بنت الوزير فاتح همدان احمد باشا ، وزوجة المرحوم الوزير الخطير سليمان باشا صاحب الخيرات رحمة الله عليهم اجمعين . وكان قد تداعى للسقوط فعمره متوليه اذ ذاك ابراهيم افندي المعروف بالمميز ابن صالح بك(٤٦) وذلك في سنة ١٣١٨ هجرية جامعاً تقام فيه الجمع والجماعات ، ومن الجوامع الحسنة ، لما اشتمل عليه من حسن البناء وجمال الوضع ، وعين فيه امام وخطيب ومؤذن وخادم ، وهو تحت ادارة المتولي احد اولاد(٤٧) ابراهيم افندي المميز المذكور "(٤٨) .

وكانت على باب هذا الجامع لوحة من الرخام ، كتبت عليها ثمان

---

(٤٤) مساجد بغداد وآثارها ، بتهذيب الشيخ محمد بهجة الأثري (بغداد١٣٤١هـ) ص٤٥-٤٦.

(٤٥) هي البناية التي شغلتها مديرية الآثار العامة حيناً من الدهر ، وقد اصبحت اليوم متحفاً للموروث البغدادي .

(٤٦) الصحيح ان ابراهيم المميز هو ابن محمد بك .

(٤٧) هو المرحوم عبد الجبار بك بن ابراهيم المميز .

(٤٨) تاريخ مساجد بغداد ، الورقة ٥٦ (مخطوط) .

ابيات دالية ، تؤرخ بناءه بحساب الجمل ، وقد طمست معالم البيتين الاولين منذ زمن بعيد ، وبقيت الابيات الستة التالية ، وسجلها الآلوسي(٤٩) وعباده(٥٠) والراوي(٥١) على النحو الآتي :

لقد اشبعتها الحادثات وردها	الى صدق الاحداث بعد السنا الردى
فعمر اهلوها لها اي مسجد	على غير تقوى الله لن يتشيدا
امان ولا خوف ، ورشد ولا عمى	وخير ولا ضر ، به شرف الهدى
فصفوا به صفو القلوب ولم يزل	تراه لأبصار المصلين أثمدا(٥٢)
فلما زهى بنيان باب دخوله	لنا وجلت ماء الضمآن من الصدى
هناك اقتبسنا آية الذكر أرخو	لرب السما الهادي ادخلو الباب سجدا

(١١٦١)

الا ان من المؤسف ان ترفع هذه اللوحة هي ايضاً بعد تعميره السابق على ازالته كلية . واذ تشير الابيات المذكورة الى ان اهل سيدة ما قد عمروا لها

(٤٩) تاريخ مساجد بغداد وآثارها ص٤٥ .

(٥٠) العقد اللامع الورقة ١٠٨ (مخطوط) .

(٥١) تاريخ مساجد بغداد الورقة ٥٧ (مخطوط) .

(٥٢) الأثمد هو حجر الكحل الذي يجلو البصر .

هذا المسجد(٥٢أ) ، فان ابيات اخرى بالتركية ، كانت قد حررت على رخامه وضعت فوق مصلاه ، صرحت بان تلك السيدة هي كلرخ خاتون ، وان ابنتها السيدة عادلة خاتون هي التي عمّرت الجامع ايفاء لحقوقها عليها . وعجز التاريخ هو : " فبنت لله داراً للعباد الصالحين " . وحسابه : سنة ١١٦٨هـ .

وهذه الابيات ، هي احدى روائع ما خطته يد الخطاط المجود اسماعيل الأنوري البغدادي(٥٣) ، من كبار خطاطي بغداد في القرن الثاني عشر للهجرة (١٨م) ولم يكن مصير اللوحة بافضل من سابقتها ، فقد ازيلت منذ عهد بعيد ، وانفرد عباده بتسجيل ما كان عليها من ابيات .

ويشير عباده الى ان عادلة خاتون اوقفت على جامعها هذا اوقافاً جمة ادرجتها في وقفية لها مؤرخة في غرة جمادى الاولى سنة (١١٦٣هـ/١٧٤٩م) واذ لم نقف على نص هذه الوقفية ، ننقل ما لخصه منها عباده عند كلامه على هذا الجامع . قال :

" وقد اوقفت عليه بوكالة احمد افندي بن حسين اغا البستان الواقعة على نهر دجلة

(٥٢أ) ظن المرحوم السيد محمد رؤوف الشيخلي ان السيدة التي تشير إليها هذه الأبيات هي عادلة خاتون نفسها ، وعليه فقد ذهب الى انها توفيت قبل سنة ١١٦١ ولكنه لم يستطع تفسير الأشارة إليها بوصفها على قيد الحياة في الأبيات التي على جامع العادلية الكبير المبني بعد الجامع الصغير المذكور ، فقال " أن تواريخها بعد تاريخ هذا الجامع الصغير لم يذكر فيها وفاتها بل بالعكس يؤكد أنها على قيد الحياة ، فمن يحل لنا هذا المشكل "(المعجم الجغرافي لمدينة بغداد القديمة بين سنة ١٢٧٠-١٣٦٠هـ ، البصرة ١٩٧٧ ، ص٨٧) قلنا : وسبب هذا اللبس أن المؤلف المذكور لم يرجع الى الأبيات التركية التي تصرح باسم كلرخ خاتون .

(٥٣) هو السيد اسماعيل بن مصطفى الانوري البغدادي ، اخذ الخط عن كبار خطاطي عصره ، وسافر الى استانبول للأخذ عن خطاطيها ، وتوفي هناك في شهر رجب سنة ١١٨٩هـ/١٧٧٥م . انظر ترجمته في وليد عبد الكريم الاعظمي : جمهرة الخطاطين البغداديين ج٢ (بغداد ١٩٨٩) ص٥٩٥-٥٩٦ .

المشهورة بام الايوان(٥٤) ، والاراضي المتخذة منها الى ينكجه(٥٥) ، وثلاثة دكاكين باتصال المسجد المذكور(٥٦) ، وقهوة(٥٧) ، واربعة دكاكين في داخل القيصرية(٥٨) وباتصالها من خارجها ، ودار في محلة الصفارين شرطت سكنى الامام فيها ، واليوم هي خان للمتاجرة(٥٩) . وفي الجانب الغربي ، اي في جامع الكرخ : الخان المسمى خان قره ايلان ، وباتصاله دكان ، وثلاثين جزء قرآن ، وقرآنين كبيرين ، وقرآنين صغيرين ، وربعة شريفة ، ودلائل الخيرات نسختين ، وتفسير القرآن تركي ، وجواهر القرآن(٦٠) ، وابراهيم حلبي صغير(٦١) ، وتفسير معالم التنزيل ،

(٥٤) وهي التي عرفت فيما بعد ببستان الصرافية . ولا نعلم أيوان أي قصر هذا الذي نسب إليه البستان المذكور ، وبما انه لم يكن ثمة قصر هنالك في القرون الأخيرة ، لعدم السكنى في خارج سور بغداد ، فلا يبعد ان نفترض كونه من بقايا احدى القصور العباسية القديمة ، ويذكر الحاج أمين المميز أنه مازال على شاطئ دجلة في الصرافية (سن) من آجر قديم يعتقد أنه أساس احد تلك القصور ، وكان الدكتور مصطفى جواد رحمه الله يسترجح كونه أساس قصر الأمير سبكتكين ، أو الدار السنيني ، أو قصر الزاهر . أنظر بغداد كما عرفتها ص٤٧٦ .

(٥٥) لعل ثمة سقط هنا ، فان ينكجه بعيدة عن بستان الصرافية بعداً شاسعاً ، وهي المعروفة اليوم بجديدة الشط ، وتقع على دجلة وتعد من اعمال الخالص .

(٥٦) اندمجت هذه الدكاكين ، في عهد تولية أبراهيم بك المميز ، لتكون دكاناً واحداً ، وقد أستأجره مركب الأسنان المرحوم الأسطة ناصر .

(٥٧) وهي التي عرفت بالقهوة المعلقة وتقع في جانب الكرخ ، وقد أستملكت لغرض اعداد مقتربات جسر المأمون (الشهداء حالياً) .

(٥٨) أستملكت هذه الدكاكين لغرض توسعة شارع أسامة بن زيد (السموأل سابقاً) .

(٥٩) وهو الخان الذي عرف بخان التتن ، ويقع بجوار جامع العادلية الصغير ، في (دربونة الصفافير)

(٦٠) وهو للامام ابي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) .

(٦١) وهو مختصر غنية المتملي في شرح منية المصلي لابراهيم بن محمد الحلبي (ت ٩٥٦هـ) .

ودر المختار(٦٢) ، ومصابيح شريف(٦٣) ، وسبع يانات(٦٤) ، وسجادتين ، وشمعدان برنج ، وقدر كبير من النحاس ، وخمسة دولكات من نحاس(٦٥) . وان يعطى من الغلة الى المتولي عبد الكريم افندي ثلاثين آقجة(٦٦) يومياً ، والامام ثلاثين ايضاً ، وعشرة الى محافظ المكتبة ، وعشرة آقجات لمؤذنين ، وخمسة عشر آقجة الى كليدار الجامع والسبيلجي(٦٧) ، وخمسة عشر آقجة الى من يخرج الماء من البئر(٦٨) ، وموقد القناديل ، وعشرين آقجة للسقاء ، وخمسة عشر آقجة الى المعمار(٦٩) ، وسبعة آقجات للفراش ، وسبعة للكناس ، وثمانين آقجة للوازم الجامع ، والفضلة يعمر بها الجامع ، ويحفظ الباقي عند المتولي . وشرطت التولية الى اولاد عمتها فاطمة خانم بنت حسن باشا وابنها محمد صالح بك واولاده اناثاً وذكوراً ، وذلك بموجب الوقفية المؤرخة غرة جمادى الاولى سنة ١١٦٣ " .

(٦٢) هو الدر المختار شرح تنوير الابصار لمحمد بن علي العباسي الحصكفي (ت ١٠٨٨هـ) .

(٦٣) يريد : مصابيح السنة للامام حسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦هـ) .

(٦٤) اليانة : ضرب من السجاد .

(٦٥) ظلت هذه الدولكات مربوطة بسلاسل الى حوض كبير منقور من الرخام وقد أزيل هذا الحوض بأزالة الجامع نفسه .

(٦٦) الآقجة : نقد عثماني يعزى ضربه الى السلطان اورخان سنة ٧٢٩هـ/١٣٢٥م ومعنى آقجة (المبيضة) او (البيضاء) لغلبة الفضة على معدنها ، وقد توقف ضربها عام ١٢٣٤هـ/١٨٢٧م الا ان العرف جرى بان تعتبر الآقجات - في امور الوقف - سهماً يحسب مقابلها حسب الوارد ، دون ان يكون لها اية علاقة بوزن الفضة او قيمتها .

(٦٧) هو الموكل بخدمة (السبيل خانة) اي السقاية الكائنة في الجامع .

(٦٨) كانت هذه البئر موجودة قرب الحوض الذي مرت الأشارة إليه .

(٦٩) وهو ما يقابل في زماننا هذا (المهندس المقيم) .

ونلاحظ ان الوقفية تضمنت تخصيص راتب يومي لمحافظ المكتبة ، وذكرت عناوين بعض الكتب في التفسير والفقه وغير ذلك ، فضلاً عن المصاحف الشريفة ، مع انها خلت من اشارة الى وجود مدرسة ، او مدرس ، وليس في نص الوقفية التالية (المؤرخة في سنة ١١٧١هـ) ما يدل على وجود مكتبة في هذا الجامع ، وانما صرحت بوجودها في جامع العادلية الكبير حيث توجد مدرستها ، فلعل الواقفة قد نقلت كتبها الى ذلك الجامع بعد ذلك .

وعلى الرغم من التعميرات التي قام بها متولو الوقف ، فان قراراً صدر بازالة الجامع من الوجود ، لغرض توسعة شارع المأمون الذي يفضي الى جسر المأمون (الشهداء) فكان ان نقض الجامع برمته ، وادخلت ارضه في الشارع المذكور . وفي سنة ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م قام متولو الوقف ، بأنشاء جامع جديد ، اكبر سعة ، واقخم بناءً ، على قطعة من ارض بستان الصرافية تبلغ مساحتها ٢٨٧٣ متراً مربعاً وهو من اوقاف عادلة خاتون اصلاً ، فعرف هذا الجامع باسم هذه السيدة المحسنة ، وانشئت الى جانبه قاعة كبيرة للمناسبات الدينية والاجتماعية ، وتتولى وزارة الاوقاف ادارة هذا الجامع حالياً بعد تصفية الوقف .

٢. جامع العادلية الكبير

انشأته السيدة عادلة خاتون في السنوات ١١٦٣-١١٦٨هـ / ١٧٤٩-١٧٥٤م كما دلت على ذلك الكتابات التي فيه ، اي بعد سنوات قلائل من شروعها بأنشاء جامعها الصغير . وقد نال الجامع عناية فائقة في عهد مؤسسته .

وقد وصفه السيد محمود شكري الالوسي بقوله " فيه مصلى واسع ومنارة شامخة[٦٩] ، وفيه مدرسة في الطابق الذي فوق الباب ، وخزانة كتب ، وبعض الحجر . انشأته صاحبة الخيرات والمبرات عادلة خاتون بنت احمد باشا الذي تولى ايالة بغداد اثنتي عشرة سنة وذلك من سنة تسع واربعين ومائة وألف الى السنة الحادية والستين ، وكان زوجها احد موالي ابيها ، وهو سليمان باشا .. وكانت هي من اهل التقوى والصلاح محبة لأهل العلم والزهد كثيرة الصدقات . ولوالدها مآثر مبرورة ومساع مشكورة ، وهو الذي حافظ بغداد وقاوم نادر شاه ملك الفرس من استيلائه على العراق .. وكان الفراغ من عمارة هذا المسجد ومدرسته سنة ثمان وستين ومائة وألف .. وهذا الجامع هو الى اليوم مشيد الاركان ، رصين الجدران ، تقام فيه الجمع والاعياد ، وفيه مدرس وخطيب وامام ومؤذن وخدم ، مفروش مصلاه باحسن الفرش ، له اوقاف كثيرة "[٧٠] .

ووصفه الشيخ عباس بن جواد البغدادي بقوله "مسجد عادلة خاتون من بنات وزراء بغداد السابقين ، وهو جامع جمعة ، وفيه مدرسة ومئذنة"[٧١] . واطنب السيد محمد سعيد الراوي في الحديث عن هذا الجامع ، فقال : " هو الجامع الواقع على شارع النهر تجاه دار المحكمة الشرعية ، يبعد عن جامع الصاغة[٧٢] قدر ربع ميل .. وهو جامع مشتمل على مصلى واقع على يمين

(٦٩أ) من غير المحدد تاريخ أنشاء هذه المئذنة ، فقد وجدنا كتابة بالآجر المزجج على حوضها تشير الى سنة ١٢٢٩هـ/١٨١٤م فلعلها أنشئت في هذا التاريخ ، أو أنه تعميراً أجرى عليها في السنة المذكورة .

(٧٠) مساجد بغداد وآثارها ص٤٣ .

(٧١) عباس بن جواد : نيل المراد في احوال العراق وبغداد ، الورقة ٢٤٦ (مخطوط) .

(٧٢) هو جامع الخفافين المعروف في العصر العباسي بجامع الحظائر .

الداخل اليه ، ومنارة عالية واقعة على الركن الغربي للمصلى ، وعلى يمين باب المصلى رواق صغير لصلاة من فاتته صلاة الجماعة فيصلي هناك منفرداً .

وعلى يسار الداخل الى الجامع درج يصعد بها الى المدرسة المطلة على الشارع .

ويوجد بعض حجر في الجهة الشمالية والشرقية للجامع معدة لسكنى الفقراء .

أنشأت هذا الجامع صاحبة الخيرات والمبرات عادلة خاتون بنت احمد باشا المعروف بفاتح همدان .. وقد كانت هذه الخاتون المرحومة من الصلاح والتقوى على جانب عظيم ، كثيرة الصدقات ، محبة لأهل العلم والصلاح .... ولا يزال الجامع هذا مشيد الاركان قائم البنيان ، غير انه أصبح منحطاً عن الطريق اكثر من نصف قامة ، بسبب تعديل الطريق وتعبيده ، وقد اعتنت به دائرة الاوقاف بعد وضعها يدها عليه ، وقد كانا يداران من قبل المتولين ابراهيم افندي المذكور [المميز] ثم ابنه عبد الوهاب(٧٣) ثم ولده(٧٤) .. وفيه من الموظفين مدرس وامام وخطيب ومؤذن وخادم ، وهو مفروش باحسن البسط واوقافه كثيرة "(٧٥) .

وكانت ثمة ابيات تؤرخ بناء الجامع . حفرت على لوح من رخام ثبت على بابه ، وهي(٧٦) :

الا لله من بيت معلى ... معد للأقامة والصلاة
بناء اسه تقوى ودين ... ينيف على الخورنق من جهات
فنعم الجامع الوضاح يزهو ... كبدر في الليالي الحالكات

(٧٣) الصحيح أن عبد الوهاب هو أبن قدوري بك .
(٧٤) هو عبد القادر بن عبد الوهاب .
(٧٥) تاريخ مساجد بغداد الورقة ٢٠ .
(٧٦) نقلها الالوسي والراوي وعباده بلفظ واحد .

تنور بالعبادة فهو يزري ... بانوار النجوم الزاهرات
بنته بمالها ام المعالي ... عقيلة قومها بنت السراة
سليلة احمد المرحوم رب المحامد والعلى مولى الكفاة
وزوجة مفخر الوزراء حتف العدا فلاق هامات الكماة
(سليمان) الزمان الاصف القرم فتى الفتيان ممدوح السمات
الا يا دهر فافخر انت حقاً ... بعادلة الرضا ام الصلات
كريمة قومها في كل مجد ... وغرة دهرها ذات الهبات
ومطعمة اليتامى والبرايا ... وكاسية الارامل والعراة
تجدد كل يوم فعل خير ... ومن حسنى صنيع الصالحات
وتعمر مسجداً لله يبقى ... جزاء الخير في يوم النجاة
وهذا الجامع الاسنى بنته ... تروم به ثواب المحسنات
وقد جعلت ثواباً كان منه ... لوالدها الرضا ذي المكرمات
ليحيا ذكرها في الدهر يوماً ... ويذكر في الحياة وفي الممات
حماها ربنا من كل سوء ... بعز دائم طول الحياة
وضاعف اجرها في دار خلد ... ووقاها جزاء القانتات
ولما ان تكمل قيل ارخ ... الا يا تم حي على الصلاة
(١١٦٣)

وثمة ابيات اخرى ، على باب مصلاه الغربية ، كتبت بالاجر المزجج (القاشاني) هذا نصها :

ذا جامع مؤسس | على تقى الرب المتين
بنت الوزير احمد | بنته للدين المبين
عادلة كريمة | مخدومة للمؤمنين
دامت بعز العالين | في حفظ رب العالمين
تاريخها جاء الهنا | فنعم دار المتقين

(١١٦٨)

وقد حرر تحت هذه الابيات ما نصه : قال النبي (ﷺ) : لا عز الا بطاعة الله تعالى . اما المنبر فقد كتب عليه ، بالآجر المزجج . قوله تعالى " في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال . (الى قوله تعالى) . والله يرزق من يشاء بغير حساب سنة ١١٦٨ " .

وكانت ثمة ابيات بالتركية ، بالمعنى نفسه ، كتبت على رخامة في اعلى الباب الواقعة عكس القبلة . والكتابات تشير الى تجديد جرى على الجامع سنة ١٣١٢هـ/١٨٩٥م . الا ان اكثر هذه الابيات والكتابات ازيل في اثناء التعميرات اللاحقة .

وينوه عباده بوقفية قديمة لعادلة خاتون تاريخها سنة ١١٦٠هـ وقفت فيها على هذا الجامع اوقافاً معلومة ، "وانها " شرطت التولية لنفسها في الحياة وبعدها لاولادها ، واذا انقرضوا فالغلة(٧٧) توصل الى فقراء المدينة المنورة بتعيين رجل امين يوصلها ، وتعيينه منوط الى القاضي ، وحكم بهذه

(٧٧) الصواب : فضلة الغلة .

الوقفية القاضي مومه زاده السيد احمد حسيب في ١٨ ذي الحجة سنة ١١٦٠ وقد شهد فيها عدة اشخاص كرام ، كاحمد افندي المصرف ، ورئيس البوابين قبوجيلر كتخداسي حسين اغا ، والكمركجي علي افندي ، واحمد اغا بن محمد اغا كتخدا ، وعمدة الكرام صاحب السعادة محمد باشا ، ورئيس الجواويش كتخداي جاوشان ابراهيم اغا" .

والظاهر ان هذه الوقفية هي اولى وقفيات عادلة خاتون ، وقد غيرتها في الوقفية التالية المؤرخة في سنة ١١٧١هـ/١٧٥٧م ، ولا شك في ان احد اسباب التغيير يكمن في كونها لم تنجب خلال المدة التالية من يمكن ان يتولى اوقافها الكثيرة ، وسنجدها في الوقفية الاخيرة تعين للتولية ابن عمتها محمد صالح بك بن عبد الرحمن باشا(٧٨) ومن بعده اولاده واولاد اولاده(٧٩) ، وهي لم تفعل ذلك الا بعد ان تجاوزت سن الانجاب ويئست من ان يكون لها وريث .

وتشير وقفية سنة ١١٧١هـ الى العقارات الكثيرة التي وقفتها على جامعيها ومدرستها . ومنها بستان خارج باب المعظم ، وهي بستان الصرافية ، وثلاثة خانات تجارية ، ومقهيان في جانبي بغداد الشرقي والغربي ، ودكاكين عديدة واسكلة خشب ، وساقية ، وبئر ، ودولاب(٧٩أ) وبلغ من عناية أهل الخير بالوقف على هذا الجامع ، أن أحد مماليك أحمد باشا بن حسن باشا ، ويدعى بشير آغا ، وقف سنة ١١٧٥هـ/١٧٦١م اي

(٧٨) تسميه الوقفية : امير امراء شهرزور وكركوك . وكان قد تولى شهرزور (مركزها كركوك) من محرم سنة ١١٤٣ الى ١١٤٥هـ . الاسر الحاكمة ص٢٤٠ .

(٧٩) وهم الذين سيعرفون ، فيما بعد ، بآل المميز. انظر مشجراً باسمائهم في ملاحق الكتاب .

(٧٩أ) نشرنا هذه الوقفية في ملاحق الكتاب .

في حياة الواقفة نفسها عقارات عديدة منها مزرعته المسماة بدولاب الفحامية ، ومقاطعة خارج باب الأمام الأعظم على نهر دجلة على لوازم جامع العادلية الكبير وقد أشترط أن يقوم ثلاثة قراء " بتلاوة القرآن العظيم الشأن في جامع عادلية الشريف المنشأ لخيرات المغفور له المشار إليه احمد آغا طيب الله ثراه ، الواقع قرب محكمة مدينة بغداد دار السلام ، على أن يتلو أثنان منهم يومياً جزء من القرآن الشريف لكل واحد ، ويتلو الثالث يومياً [سورة] ياسين الشريف المذكور بعد ضمه الى واردات ذلك الجامع "(٨٠) مما يدل على جسامة الاموال التي كانت مخصصة للأنفاق على هذه المنشآت النافعة . وقد اعاد متولو الوقف بناء الجامع كلياً سنة ١٩٣٧ ولما يزل الجامع عامراً بالمصلين حتى يومنا هذا وفي الجامع مقبرة تضم رفات تسعة من أعلام آل المميز المتولين السابقين للجامع .

٣. المدرسة العادلية

الحقت عادلة خاتون بجامعها المسمى جامع العادلية الكبير مدرسة لتدريس العلوم في المعقول والمنقول ، واختصت بالفقه الحنفي وكانت هذه المدرسة تشغل عدداً من الغرف في الطابق الاعلى من الجامع ، وضمت اليها خزانة للكتب لتكون عوناً لطلبتها ومدرسيها على حد سواء ، وحددت عدد طلبتها بخمسة عشر طالباً . وهو عدد كبير قياساً الى المدارس الاخرى . ورتبت الرواتب للمدرس ولحافظ المكتبة والمخصصات اليومية للطلبة . وبلغ من اهتمامها بامر هذه المدرسة انها كانت تشرف بنفسها على شؤونها ، وتتعهدها بالعناية .

---

(٨٠) أنظر نص هذه الوقفية في ملاحق الكتاب .

وقد ميزت طلبتها بان جعلت لهم شارات (باجات) خاصة يحملونها على صدورهم ، كتبت عليها عبارة (طلبة المدرسة العادلية ببغداد) وهو ما انفردت به بين واقفي المدارس كافة(٨١) .

ولقد درّس في هذه المدرسة عبر الحقب المتعاقبة صفوة من اشهر علماء بغداد ، منهم السيد محمود شكري الالوسي ، والسيد صبغة الله الحيدري ، والشيخ نجم الدين الواعظ ، والشيخ محمد افندي الحاج حمد العسافي وغيرهم .

اما المكتبة فقد تفرقت كتبها منذ امد بعيد ، ونقل المتولي ما تبقى منها الى داره ، فعبثت بها الارضة هناك "حتى اصبحت لا ينتفع بها"(٨٢) .

٤. المحكمة الشرعية في بغداد

أنشأتها السيدة عادلة خاتون في موضع حسن ، مطل على دجلة ، مقابل جامعها المعروف بالعادلية الكبير ، من الجهة الأخرى لشارع النهر (المستنصر) وشرطت أن تكون محلاً للقضاء ولسكن القضاة ، لذا فقد عرفت أحياناً ببيت القاضي(٨٣) . وقد بقي الحال كذلك حتى اواخر العصر العثماني واوائل الحكم الوطني ، غير أن دار سكنى القضاة تداعت ولم تعد صالحة للسكن ، ومع أن المحكمة الشرعية بقيت تزاول اعمالها في البناء القديم ، فأن البناء نفسه أصبح في ثلاثينات هذا القرن آيلاً للسقوط ومعرضاً للخطر .

---

(٨١) ابراهيم الدروبي : البغداديون اخبارهم ومجالسهم (بغداد ١٩٥٨) ص٣٢٢ .

(٨٢) الالوسي : مساجد بغداد وآثارها ص٤٥ .

(٨٣) عبادة : العقد اللامع الورقة ١٤٣ (مخطوط) والآلوسي : مساجد بغداد وآثارها ص٤٥ .

وفي سنة ١٩٣٤ شيدت وزارة العدلية بناءً جديداً للمحكمة في موقع المبنى القديم ، أستناداً الى التقادم ، ولعدم استطاعة المتولين ابراز المستمسكات القديمة التي تبين عائديتها أسوة بأعيان الوقف الأخرى المستندة الى الأعلامات والحجج الشرعية وسجلات الطابو .

وكان قد أقيم في وسط باحة المحكمة الشرعية القديمة قفص كبير(٨٤) ليكون مرقداً لرفات الواقفة عادلة خاتون بعد نقله من موقعه الأول في مقبرة الأمام الأعظم . وقبل المباشرة بالهدم والبناء جرى الأتفاق بين المتولين السابقين من آل المميز ، وبين وزارة العدلية ، على تخصيص أحدى حجرات المبنى الجديد لنقل الرفات اليها ، وقد تم ذلك سنة ١٩٣٤ ونقل الرفات الى الحجرة المجاورة للحجرة المستخدمة حالياً مخزناً للسجلات .

ولقد ظلت هذه المؤسسة النافعة تقوم بمهامها الأجتماعية لأهل بغداد منذ عهد الواقفة ، وهي اليوم محكمة الأحوال الشخصية في الرصافة .

٥. سقاية عادلة خاتون

ومن مبرات عادلة خاتون أنها أنشأت سقاية كبيرة لتزويد جامع العادلية الكبير والمنشآت المجاورة ، فضلاً عن سائر الناس ، بمياه الشرب وكانت تلك السقاية تتألف من بئر عميقة تقع عند شاطئ النهر ، قد ثبت فيها دولاب (كرد) تحركه الدواب ، فيرفع الماء من البئر الى قناة عالية ، مبنية على عقود ،

---

(٨٤) يعرف هذا الضرب من الأقفاص التي تقام على القبور باسم (كنكر) وكان من أشهر بناة الكنالكر هو الأسطة علي والد المنولوجست المرحوم عزيز علي .

فيجري الماء فيها حتى يصل الى حوض خاص في الجامع ، يستقي منه الناس ، ودون أن تمسه يد سقاء قط .

وقد أوقف العمل في الكرد بعد تزويد الجامع والمنشآت الأخرى بالماء الصافي بواسطة الأنابيب .

٦. خانات تجارية في بغداد

أنشأت عادلة خاتون ثلاثة خانات في الأقل ببغداد ، لتكون مستغلات للأنفاق من وارداتها على منشآتها الدينية والعلمية الأخرى ، منها خان العادلية ، وهو خان كبير قرب جامع العادلية الكبير في شارع النهر(٨٥) . وخان في محلة الصفافير ، وآخر قرب الجسر(٨٦) .

٧. خان عادلة خاتون في قوش تبه

لم تقتصر منشآت عادلة خاتون على بغداد وحدها ، وأنما أمتدت لتشمل مناطق أخرى من العراق . وقد حدثنا نيبور أن الفضل في تاسيس بلدة قوش تبه ، الواقعة على الطريق بين كركوك واربيل ، يعود الى هذه السيدة وأبيها والي بغداد أحمد باشا ، قال في رحلته " وقرية قوش تبه تسمى خان عادلة أيضاً ، ومع

---

(٨٥) عرف هذا الخان (بخان المنكنة) لوجود آلة كبس (منكنة) كان يكبس فيها الصوف على هيئة بالات كبيرة .

(٨٦) وهو - في اصله - ربع الشافعية من المدرسة المستنصرية وقد اصبح ملكاً لدائرة الاثار بقرار من مجلس قيادة الثورة .

أن جميع أراضي هذه المنطقة كثيرة الخصب الآ انها كانت الى قبل بضعة اعوام صحراء قاحلة ، خالية من السكان ، ما خلا بعض الاكراد الذين يتجولون فيها في اوقات معلومة من السنة ، وقد أمر أحمد باشا والي بغداد بحفر بئر واقامة دار للراحة في هذا المكان وذلك لتسهيل الطريق على السعاة وموظفي البريد . كما أمرت أبنته عادلة خاتون بتشييد خان لتأمين راحة المسافرين والمستطرقين .

واصدر الباشا فرماناً(٨٧) يقضي بمنح الحرية وحق زرع الأراضي المحيطة بهذا المكان لكل من يرغب السكنى فيها من الفلاحين ، وبهذه الطريقة تكونت قرية كبيرة في مدة وجيزة من الزمن " (٨٨) .

---

(٨٧) الفرمان هو الامر الصادر من السلطان حصراً ، وكان الاولى ان يسميه (بيوراولدي) وهو مصطلح تركي بمعنى (تفضل بـ) وكان يختص باصداره للولاة .

(٨٨) نيبور : رحلة ص ٨٩ .



لقد كان لعادلة خاتون دور مهم في تاريخ العراق الحديث يتجلى من خلال محاولتها تكوين أول "تكتل" أو "جمعية" سياسية في العراق ، تسعى من أجل أسناد النظام . كما تجلى دورها أيضاً في إنفاذ الحملات العسكرية ، من خلال حكم زوجها والي بغداد ، لضرب حركات انفصالية كانت تنذر بعواقب وخيمة على وحدة العراق ، وبرز دورها واضحاً في أنشاء الخدمات العامة لبيئتها ومجتمعها ، ويضمنها مساجد ، ومحكمة ، وخانات ، ومرافق مدنية مختلفة في بغداد وخارجها . واذا لم يكن مألوفاً ان تقوم سيدة بكل تلك الدور ، فقد أنتشرت حولها أشاعات تتهمها بالقسوة والتحريض على تدبير المؤامرات ، وكان هدف هذا الكتاب هو دراسة هذه الجوانب جميعاً ، في محاولة لأعادة رسم شخصية تلك السيدة القوية ، التي جمعت بين الحزم والرحمة ، وبين أعمال السياسة ، وأعمال البر والخير .



ملحق (١)

وقف عادلة خاتون(٨٩)

فـي سنة ١١٧١هـ قررت تسجيل املاكها وقفاً على لوازم جامعيها والمدرسة ، وقد حضرت مجلس الشرع الشريف المنعقد في محكمة شرعية بغداد برياسة قاضيها السيد عبد الباقي أفندي المأذون بالقضاء ، فوقفت البستان الواقعة خارج باب الأعظم والخان الكائن في محلة الصفافير ...(٩٠) في سوق الدنكجية والمقهى في سوق القيصرية والمقهى في الجانب الغربي على دجلة قرب الجسر والدكان في رأس الجسر والخان وارضيته والدكان في سوق الغزل وسهم واحد من ستة أسهم من الدكان بقرب خان الأورتمة واسكلة الخشب(٩١) المقابلة لجامع العادلية والدار الكائنة في طريق ...(٩٢) الخاص والدكانان في سوق السراي والخان المحيط من ... جهاته بجامع العادلية وارضيته الخارجية والبئر والدولاب على [دجلة] والساقية القديمة الممتدة [الى] الجامع الشريف المقابلة ... بحسب المذكور وقطعة الارض الشهيرة بارض المتولية(٩٣) وجميع دكاكين مقابل الجامع ... لملك الحيدري . وشرطت ان يبدأ بصرف غلة الموقوفات المذكورة على تعمير وترميم الجامعين الكبير والصغير والمدرسة ادامة لهما ثم على لوازم الجامعين ودفع رواتب المدرس والأمام في الجامع الكبير والأمام في الجامع الصغير ودفع رواتب المؤذنين وقراء الدور والخطباء والممجدين والخدم وجميع ما يقتضي الجامعين ودفع مخصصات الواعظ في شهر رمضان المبارك واجور الماء والفرش والحصران والاباريق وتنوير الجامعين في ليالي رمضان وسائر الأيام وشرطت فضلة الغلة الى أبن عمتها وهو صالح بن عبد الرحمن باشا أمير أمراء شهرزور وكركوك ومن بعده لأولاده واولاد اولاده ما تناسلوا وتعاقبوا نسلاً بعد نسل وقف تشريك لاوقف ترتيب بحيث يشارك الأبن والده على أنه ليس لولد الأجنبي حظ في هذا الوقف . وطلبت تسجيل وقفها واصدار حجة شرعية بهذه الشروط وشرطت أيضاً ان تكون التولية للأرشد فالأرشد من اولاد الموقوف عليه وليس للمتزوجة باجنبي حظ في التولية أيضاً . وبعد الترافع امام القاضي الموقع أسمه أعلا الكتاب حكم القاضي بصحة الوقف ولزومه واصدر الحجة الشرعية المؤرخة ١٩ ربيع الثانى سنة ١١٧١هـ وقد حضر الشهود الآتي ذكرهم حين التسجيل وهم :

---

(٨٩) لم نقف على اصل هذه الوقفية في سجلات وزارة الاوقاف ولا في سجلات المحكمة الشرعية في بغداد ونقلناها بحروفها من ابراهيم الدروبي بداية الوقف ونهايته مخطوطة في مكتبة الاوقاف في بغداد .

(٩٠) انبياضات من الاصل .

(٩١) هدم المتولون على الجامع ، في مطلع الحكم الوطني ، هذه الاسكلة ، وشيدوا في ارضها ثلاثة دكاكين يعلوها فندق (مسافر خانه) .

(٩٢) هو الدرب الذي كان معروفاً بدرب النملة ، وقد أستملكت الدار لتوسيع بناية البنك المركزي .

(٩٣) هي البستان المعروف بالمتوليات ، وتقع في الجانب الغربي (العطيفية الثانية حالياً) ولما كانت هذه البستان مهجورة ، ولا فائدة منها للوقف ، فقد استبدلها احد المتولين ببستانين عامرين في قضاء مندلي هما بستان باغيارة ، وبستان صارى احمد .

السيد محمود بن السيد علي نقيب الأشراف

ومولانا محمد أفندي المفتي

ومولانا محمود افندي المفتي الشافعية

والسيد عبد القادر بن السيد عبد الله النائب سابقاً

وفخر الأئمة الكرام ملا خليل بن الشيخ سلمان

والأمام محمد صالح افندي بن الشيخ عبد الرزاق

والسيد عبد الوهاب بن السيد عبد الله

وزبدة ...(١) زاده محمد افندي المدرس

وفخر العلماء عبد الرزاق افندي بن عبد الحنان امين الفتوى وفخر الخطباء الكرام عبد الرحمن افندي بن عبد الله افندي السويدي مؤلف حديقة الزوراء

وفخر الأئمة والعلماء عبد الرحمن بن عبد الكريم

وياسين افندي بن ملا أحمد

ومحمد افندي بن علي افندي الكليتدار

وملا مصطفى خطيب الشيخ معروف أبن ملا احمد

وملا محمد بن ملا احمد

وملا عبد الكريم بن مصطفى

وعبد ... بن ملا مصطفى

وفخر النواب حسين افندي نائب سابقاً

وعبد الرزاق بن ملا مصطفى

ومسعود بن الشيخ احمد

ومحمد غريب اغا ابن عبد الله

ورئيس العلماء علي افندي وكيل مفتي بغداد

والسيد احمد افندي خطيب الاعظمية

ومحمد علي كاتب الفتوى

---

(١) بياض في الاصل .

واحمد افندي مفتي الشافعية ببغداد

وملا عبد الكريم رحبي زاده

وفخر الأماجد والأكارم دفتردار بغداد حالاً سليمان بك بن محمد باشا

والشيخ ملا عبد الله السويدي

وملا محمد افندي خطيب الشيخ سراج الدين

وملا عبد الرزاق امام جامع العاقولية

وملا اسماعيل امام جامع حسن باشا

وعبد الرزاق افندي أبن عبد السميع افندي

وعبد الرحيم بن ابراهيم نظمي زاده

والحاج زكريا ابن محمود افندي نظمي زاده

وعثمان بن يوسف اغا

وحمزة افندي بن عبد السميع

وملا زكريا افندي

وعبد الرحيم افندي مقاطعة

وعبد الله افندي خليفة روزنامجي . انتهى ...

وقد صادق على هذه الوقفية القاضي ببغداد محمد عزيز افندي والقاضي ببغداد طه زاده السيد احمد افندي بعد ان عرضت عليهما . وبعد وفاة الواقفة قام الموقوف عليه صالح بك بادارة الجامعين والمدرسة وفق شرط الواقفة .. غير أن قرار تصفية وقف عادلة خاتون الصادر سنة ١٩٥٨ قد أغفل شرط الواقفة واعتبر الوقف وقف ترتيب لا وقف تشريك ، كما أعتبر اولاد المتزوجة من أجنبي من مرتزقة الوقف واورد أسماء الأحياء منهم والأموات خلافاً للتعامل الجاري منذ تأسيس الوقف قبل أكثر من قرنين من الزمن . ويبدو أن المحكمة قد أصدرت قرارها قبل الاطلاع على الوقفية المؤرخة في ١١٧١هـ التي سجلها المرحوم أبراهيم عبد الغني الدروبي ، وفيها التفاصيل عن بداية الوقف ونهايته وشرط الواقفة وأعيان الموقوفات ، وهي مخطوطة محفوظة في مكتبة الأوقاف ببغداد ولم تبرز في محكمة التصفية فلو أبرزت في حينه لتغير قرار الحكم .



ملحق (٣)

وقفية بشير اغا على جامع العادلية(١)

حمد موفور ، شكر غير محصور ، نرفعه الى الاعتاب المقدسة للواقف على امور الجمهور ، رب الارباب ، ومالك الرقاب ، والصلاة والسلام ما مرت الدهور وكرت الاعوام والشهور على المرقد المعطر ، والمشهد المنور لسيد الانام ، وسنة الخاص والعام ، حبيب الله محمد المصطفى وعلى آله الكرام واصحابه الكرام . وبعد ...

فان الباعث على تحرير هذا الكتاب الصحيح النصاب ، والداعي لتحرير هذا الخطاب ، هو ان طالب الخيرات العميمة ، وكاسب المبرات الجسيمة ، معتمد الملوك والوزراء ، بشير آغا معتق المرحوم المغفور له ساكن الجنان القدسية احمد باشا بن المرحوم الدارج الى رحمة الملك القيوم حسن باشا ، من اغوات الحرم المكرم ، والخدم المحتشم ، لوالي مدينتي بغداد والبصرة الدستور المكرم والمشير المفخم ناظم نظام العالم ، مدير امور جمهور الامم ، المحفوف بعواطف الملك المنان ، حضرة سليمان باشا دام سره وفشا . حضر الى مجلس الشرع الاحمدي واقاد في حال حياته وكمال عقله وصحته وقت ان كان اقراره نافذاً قائلاً : حيث انني لاحظت ان الدنيا

(١) ارشيف وزارة الاوقاف ، السجل السادس ، صفحة ١٥٢ .

مزرعة الاخرة ، ولاجل ان ازرع بذور الخيرات في مزرعة الدنيا واحرث بذر الحسنات لتحصيل الملكات القدسية ، وتكميل المعارف السنية ، وصرف القدرة وبذل الهمة في هذا السبيل ، فانني اقر في مجلس الشرع الاحمدي ، ومحفل الدين المنيف المحمدي ، بمواجهة سليمان اغا الوكيل المعتمد الثابت الوكالة عن الحليلة الجليلة للوزير المشار اليه سليمان باشا ، لا زال الحق منقاداً اليه ، قدوة المخدرات ، عمدة الموقرات ، ساحبة اذيال المبرات عادلة خانم ابنة المومأ اليه المرحوم والمغفور له احمد باشا ، دامت عصمتها وصينت عن صوارف الدهر ذاتها ، طوعاً وبرغبتي اني وقفت وحبست الاملاك المنسلكة في سلك ملكي والتي تملكتها بفضل واحسان سيدي في ايام دولته وسعادته ، ومستفيداً من مرحمته واحسانه ، انا العبد المعتق ورفيق الاحسان لسيدي ، وهي مقاطعة الوقف القديمة الواقعة خارج باب الامام الاعظم والهمام الاكرم رضي الله تعالى عنه ، من ابواب مدينة بغداد دار السلام الحصينة في الجهة الشمالية من قصبة الامام المشار اليه بجوار نهر دجلة العظمى ، والذي هو تحت تصرفي وفي يدي بموجب الحجج الشرعية والسندات المرعية الناطقة بذلك ، والمحدود شرقاً بالطريق العام المعروف بأسم طريق بنيجة(٢) المكون الحد الفاصل بين هور غرق(٣) واراضي الدواليب الاخرى ، وغرباً نهر دجلة العظمى ، وجنوباً نهر الشيخ القديم المتفرع من دجلة العظمى ، والمار من الجهة الجنوبية لباب الدولاب العائد لي المعروف باسم حسن والممتد الى المحل المسمى تل

(٢) هي القرية التي كتب اسمها في مصادر العصر بـ (بنكجه) وتعرف اليوم بجديدة الشط .

(٣) هور الغرق ، هو المنخفض الذي بُني المجمع العلمي على قسم منه ، وقد لبثت بقايا قصبه ترى في أرضه حتى سبعينات هذا القرن .

العجوز الواقع مقابل الدولاب المذكور ، وشمالاً الموقع المعروف باسم التلول ، المشكل الحد الفاصل بين الدواليب المسماة بدران(٤) وتل الضليعات والدباغية ، وهي المقاطعة البالغة ايرادها سنوياً غرشان ونصف ، مخصصاً لوقف الامام المشار اليه مع البكرة المنصوبة على عرصة المقاطعة المذكورة .

وكذلك وقفت ارض مزرعتي المسماة دولاب الفحامية التي هي مقاطعة كبدل شواطئ لقاء الزراعة المطرية ، ومن الماء الذي يطغى على وقف الامام المشار اليه والبالغ مقدارها خمسون غرشاً وكذلك ... الدولاب المبنية على ارض المزرعة المذكورة مع جملة توابعها ولواحقها وكافة حقوقها ومرافقها واشترطت ثوابه الى المرحوم والمغفور له احمد باشا المشار اليه وقفاً مؤبداً وحبساً مخلداً . وقد اشترطت وعينت الشروط والقيود التالية :

ان يتم اخراج ما يلزم لتعمير مقاطعة بكر ... ومقاطعة بدل الزراعة بطغيان الماء والمطر وابوابها ، وذلك من العقر والاعشاب المعينة التي اتصرف بها والمتحصلة من ارض الدولاب المذكور ، والفضلة الباقية تكون لي ان بقيت فضلة ما دمت لابساً لباس الحياة ، وبعد وفاتي يتم اخراج المصاريف على الوجه المحرر ، وتقسم الغلة الحاصلة المنافع من الاعشار الى قسمين يعطى قسم لقاء القيام بالتولية الى الموكلة المشار اليها ، او الى من تختاره الموما اليها للقيام بالتولية المذكورة . ويعطى من القسم الثاني مبلغ قدره خمس آقجات لكل واحد من ثلاث اشخاص يقومون بتلاوة القرآن العظيم الشأن ،

---

(٤) في وقفية احمد باشا بن حسن باشا على مرقد ابيه قرب مرقد الامام الاعظم المؤرخة في ٢٨ صفر ١١٥٣ نقرأ ان من جملة الموقوفات (دولاب ومزرعة القميرة في بغداد خارج باب حضرة الأمام الاعظم في منطقة الدواليب الخمسة المحدودة بمزرعة فحامية ومزرعة مراد وبالدجلة وبالطريق العام) .

في جامع عادلية الشريف المنشأ لخيرات المغفور له المشار اليه احمد باشا طيب الله ثراه ، والواقع قرب محكمة مدينة بغداد دار السلام ، على ان يتلو اثنان منهم يومياً جزءاً من القرآن الشريف ، لكل واحد . ويتلو الثالث يومياً ياسين الشريف المذكور بعد ضمه الى واردات ذلك الجامع ، وتعطى المنافع الحاصلة من العقر الى محمد بن عبد الله الذي سبقت خدمته لي وللدولاب المذكور ، والذي هو بمقام ولدي ، ومن بعده الى اولاده واولاد اولاد اولاده الذكور طبقة بعد طبقة ، للذكر مثل حظ الانثيين . اما الدولاب المذكور فكما يقوم الموما اليه محمد في حال حياتي ببذل الجهد لحرثه وزراعته ، ويؤدي عقر وعشر الي ، فعليه ان يقوم بعد وفاتي ببذل الجهد على المنوال المذكور وان يقوم بالزراعة والحراثة ، ويكون عقره لنفسه ، وبعد وفاته لاولاده على الترتيب ، وهؤلاء ايضاً يتصرفون في الدولاب المذكور كما يتصرف والدهم فيه ، ويكون عقره لهم ، اما العشر فيؤدونه الى الجهات المذكورة التي حددتها . وقد اشترطت ان يكون امر تقليل وتكثير الموقوف عليهم وادخالهم واخراجهم ، وان املك تبديل وتغيير الشروط المذكورة مرة بعد اخرى ، ويكون امر الاستبدال ايضاً بيدي مرة بعد اخرى ، وكذا يكون ايجاره لسنين كثيرة او قليلة بيدي ، ويكون ذلك بيد من يعين متولياً من بعدي ، واذا انقطعت ذرية الموما اليه محمد بالكلية فيتم ضم العقر المذكور الى واردات وقف الجامع الشريف المذكور ويصرف على مصالحه ، واذا اصبح صرف المحصول ومنافع الوقف المذكور على مصالح الجامع الشريف بمرور الايام وكرور الاعوام غير ممكن ، فيتم افراز لجهة التولية وجهة قارئ الجزء وقارئ ياسين من الاعشار على الوجه المذكور ويرسل الباقي من الفضلة بمعرفة المتولي او من قبله الى فقراء المدينة المنورة على مشرفها ازكى السلام والتحية .

واني بعد ان عينت هذه الشروط وحددت هذه القيود سلمت ارض المزرعة المذكورة العائدة لي وابواب الدولاب المبنية عليها خالية عن الشواغل الى وكيل المتولي الموما اليه سليمان اغا الذي بدوره قبضها بموجب الوقفية وتصرف فيها كتصرف سائر وكلاء المتولين على الاوقاف . وبعد التصديق الشرعي وجه الواقف المذكور كلامه من سمة الوفاق الى جانب الشقاق قائلاً : اني رجعت عن وقفية ارض المزرعة المارة الذكر وابواب الدولاب المبني عليها ، واقام الواقف الدعوى بمواجهة الوكيل الموما اليه سليمان اغا قائلاً : ولو ان بناء الوقف صحيح في المذهب الشريف لبعض المشايخ الكرام ، الا ان الواقف اذا وقف منافع الوقف لنفسه يكون باطلاً لدى الامام محمد بن حسن الشيباني ، وعاطلاً عن حلية الصحة ، وبناء على ذلك فاني رجعت عن وقف ارض المزرعة المذكورة وابواب الدولاب المشيّدة عليها ، فاطلب اعادتها ورفع يد وكيل المتولي المذكور عنها . ولدي السؤال أجاب الوكيل المذكور : ولو ان بناء الوقف يكون في الواقع باطلاً وغير صحيح لدى بعض الائمة الكرام ، اذا اشترط الواقف منافع الوقف لنفسه ، وان ذلك ثابت ، ولكن البعض الاخر ذهب الى صحة هذا النوع من الوقف ، وانه لدى حضرة الامام الثاني ابي يوسف وان كان الوقف مقترناً بالشرط المذكور الا ان الوقف يكون صحيحاً بمجرد قول الواقف : وقفته ، واليوم العمل جار وفق هذا الرأي . وامتنع عن تسليم الوقف . وترافع الطرفان لدى حضرة الحاكم موقع صدر الكتاب ، طوبى له وحسن مآب ، وطلب كل منهما الفصل والحسم وفق ادعائه . وان الحاكم الموما اليه لا زالت الاحكام نافذة بين يديه ، بعد ان تأمل وتفكر في أدلة الطرفين فانه رجح واختار جانب الوقف تقديماً وايثاراً لجانب الوقف . فحكم بموجب رأي بعض المشايخ الكرام ومسلكهم

اللطيف بتجويز هذا الوقف حكم بصحة وقف ارض المزرعة المذكورة وابواب الدولاب المبنية عليها مع شرطها المذكور ، وبعد هذا الحكم تجادل المترافعان المذكوران في امر اللزوم وتنازعا حول ذلك ، فرجح الحاكم الموما اليه ـ دام الحق جارياً بين يده ـ مرة ثانية ، تشييد مباني الوقف مع علمه بالخلاف الجاري بين الائمة الاشراف في امور الاوقاف ، فحكم على قول من يرى اللزوم مستلزماً وللصحة بلزوم وقف ارض المزرعة المارة الذكر وابواب الدواليب المشيدة عليها ، فاصبح الوقف المذكور بعد تسجيل ذلك وقفاً صحيحاً ولازماً ، فمن بدله بعدما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم واجرى الواقف على الحي الجواد الكريم .

حرر في اليوم الثامن من جمادى الاولى لسنة خمس وسبعين ومائة والف .

وفي اعلاه (حكمت بصحته ولزومه عالماً بالخلاف بين الائمة الاشراف نمقه العبد الفقير الى المولى القدير محمد عزيز القاضي بمدينة بغداد) .

ملحق (٣)

نص الكتابة التي على الشاهد التذكاري لضريح عادلة خاتون(١)

(١) كان المتولي الحاج امين المميز قد سعى لدى وزارة العدل لاقامة شاهد تذكاري يثبت على ضريح السيدة عادلة خاتون ، واقترح النص التالي ليكون على ذلك الشاهد . وقد وافقت محكمة الأحوال الشخصية في الرصافة الموقرة على هذا المقترح بكتابها المرقم ١٦١/م٢١ المؤرخ في ١٩٩٢/٢/٢٧ وجاء في الكتاب المذكور الموجه الى رئاسة محكمة استئناف منطقة بغداد ما نصه " طلب الينا السيد امين المميز المتولي على وقف عادلة خاتون المصفى بكتابه المرقم ٤٥٦ والمؤرخ ١٩٩٢/٢/١٨ السماح بتثبيت شواهد خطية على قبر المغفور لها عادلة خاتون الموجود في احدى غرف محكمة الاحوال الشخصية في الرصافة وهي التي اوقفت عموم ارض هذه المحكمة وملحقاتها وقفاً مؤبداً لتكون محكمة شرعية لقضاء حاجات المسلمين وصارت عائديتها الى وزارة العدل . وان هذه المحكمة هي حسنة من حسنات المغفور لها ، ولا ضير من قبول الطلب بتجديد القبر على نفقة المتولي وتزيينه بالشواهد واجراء تحسينات الغرفة التي تحتويه ، ولا يؤثر ذلك على سير اعمال المحكمة ، وان المغفور لها تستحق كل العناية بقبرها جزاها الله عن المسلمين خير الجزاء . ونرفق بطيه نسخة من الطلب المشار اليه للتفضل بالعلم مع التقدير .

القاضي الاول

مهدي صالح محمد امين

بسم الله الرحمن الرحيم

" يا أيّتها النفسُ المطمئنة إرجعي الى ربّك راضيةً مرضيةً
فادخلي في عبادي وادخلي جنتي " (صدق الله العظيم)

الفاتحة

هذا مرقد صاحبة الخيرات والمبّرات المغفور لها عادلة خاتون بنت أحمد باشا والي بغداد (١١٣٥هـ - ١١٦١هـ) فاتح همدان ، وحفيدة حسن باشا الأيوبي والي بغداد (١١١٦هـ - ١١٣٥هـ) فاتح كرمنشاه وزوجة سليمان باشا ابو ليله والي بغداد (١١٦٣هـ - ١١٧٥هـ) وشقيقة عائشة خاتون زوجة عمر باشا والي بغداد (١١٧٨هـ - ١١٨٩هـ) .

أنشأت هذه السيدة المحسنة عدة منشآت مهمة لصالح المسلمين ، ووقفت أوقافها الواسعة في بغداد وخارجها للأنفاق عليها ، منها تعميرها هذه المحكمة وداراً خاصة لسكنى القضاة ، ومنها جامع العادلية الكبير المقابل للمحكمة والمدرسة الملحقة به وجامع العادليّة الصغير الكائن في محلّة (الدنكجيّة) (عكَد الصخر) مقابل المتحف البغدادي وقد تهدّم الجامع المذكور وأنشئ بدلاً عنه جامع عادلة خاتون في الصرافية سنة ١٩٦٣م مع القاعة الملحقة به .

توفيت الواقفة في غرّة محرّم الحرام سنة ١١٨٢هـ الموافق ١٨ أيار سنة ١٧٦٨م ودفنت مؤقتاً عند مرقد أبيها وجدها بجوار مرقد الامام الاعظم ثم نُقل

الرفاة الـى بـاحة المحكمـة الشرعية . وبعد اعادة بناء المحكمـة سنة ١٩٣٤م نقل الرفاة الى هذه الحجرة احفاد عمتها فاطمة خـاتون بنـت حسن باشا المتولـون على اوقافها المغفور لهم عبد الجبار بـن ابراهيم المميز بن محمد بك وعبد القـادر بـن عبد الوهاب بن قدوري بـك وعبـــد الستّار بن عبد الجبّار بن ابراهيم المميّز .

وتم اعداد الشاهد وصيانـة المرقد والحجرة علـى نفقـة متولـي ادارة اوقافهـا الحاج محمد امين بن عبد الجبّار بـن ابراهيم المميّز وابنـاؤه الدكتـور ابراهيـم والمهندس صالح والمهندس فيصل والأستاذ فـؤاد وابنتـــه السيّدة سهى ووالدتهم الحجـة رفيعة جميل الفهد وقد سـاهم الجميع بطريقـة او بـاخرى في الحفاظ علـى هذا الرمز العائلي والتراث الوطني العراقي وتم انجازه في اليـوم الاول مـن شهـر كانـون الاول ١٩٩٦م الموافق ٢١ رجب الخير عام ١٤١٧هـ .

لصاحبـة هذا المرقد المغفرة والرضوان وللمتوفيـن مـن اسـرتها الرحمـة والغفران وللأحياء منهم جزيل الثواب وحسن مآب .

ملحق (٤)

المتولون على وقف عادلة خاتون

١ . محمد صالـح بك الكبير بن عبد الرحمن باشا والي شهرزور الابن الارشد لعمة الواقفة فاطمة خاتون بنت حسن باشا الأيوبي .

٢ . اسماعيل بك الكبير بن محمد صالح بك الكبير .

٣ . محمد بك بن اسماعيل بك الكبير .

٤ . صالح بك بن اسماعيل بك(١) (توفي ١٢٧٤هـ/١٨٥٧م) .

٥ . قدوري بك بن صالح بك (توفي ١٢٩٨هـ/١٨٨٠م) .

٦ . ابراهيم افندي المميز بن محمد بك(٢) (توفي ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م) .

٧ . الحاج عبد الوهاب بك بن قدوري بك (توفي ١٣٣١هـ/١٩١٢م) .

٨ . الحاجة مريم بنت قدوري بك (توفيت ١٣٤١هـ/١٩٢٢م) .

٩ . عبد الجبار بك بن ابراهيم افندي المميز (توفي ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م) .

---

(١) منـــذ وفاة صالح بك بن اسماعيل بك الكبير ، لمسى الوقف يدار في بعض الاحيان من قبل دائرة الاوقـــاف ، وذلك لاسباب تتعلق بالخلافات بين المرتزقة حول التولية وتعيين الارشد منهم متولياً على الوقف .

(٢) استشهد في اثناء ادائه الواجب سنة ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م في قضاء الشامية (انظر ملابسات الحادثة فـي وداي العطية : تاريخ الديوانية ، النجف ١٩٥٤ ، ص٨٥ ـ ٨٦) وهو اول من عرف بالمميز (عنوان وظيفة في دائرة المالية في ولاية بغداد) وعرفت اسرته بهذا اللقب من بعده .

١٠. عبد القادر بك بن الحاج عبد الوهاب بك (توفي ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م) .

١١. محيي الدين بك بن الحاج عبد الوهاب بك (توفي ١٣٨١هـ/١٩٦١م) .

١٢. عبد الستار بك بن عبد الجبار بك (توفي ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م) .

١٣. الحاج محمد امين بك بن عبد الجبار بك المميز (المتولي الحالي لأدارة الوقف المصفى امد الله في عمره) .

ملاحظة عن تصفية وقف عادلة خاتون :

في سنة ١٩٥٤ تبنت الوزارة القائمة يومئذ لائحة تقضي بتصفية الوقف الذري ، فتبنى الحاج محمد امين المميز ، متولي ادارة وقف عادلة خاتون حملة لمعارضة تلك اللائحة ، وذلك بارسال الرسائل والبرقيات العديدة ، ومقابلة المسؤولين ، واستحصال الفتاوى ، من ذلك البرقية التي ارسلها من جدة ، في ١ حزيران ١٩٥٥ الى محكمة بداءة بغداد ، وكانت تنظر في دعوى التصفية ، ونصها (ارفض تصفية اوقاف عادلة خاتون رفضاً باتاً ، واستجير بوجدان المحكمة للمحافظة على تراث اجتماعي ظل قائماً اكثر من قرنين . الوقف لا يعود فقط للماثلين امامكم المتكالبين على اقتسام اسلابه ، انما يعود ايضاً لافراد ما زالوا في الظهور والبطون . ذكروهم بقوله تعالى [(فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً) صدق الله العظيم] امين المميز(٣) .

(٣) أن البرقية المنشورة اعلاه وفتاوى العلماء والمراجعات والمقابلات والمخابرات وسائر الجهود المبذولة لرفض تشريع قانون تصفية الوقف الذري منشورة في كتاب (بغداد كما عرفتها) تأليف الحاج أمين المميز مع نص العريضة المرفوعة الى رئيس مجلس النواب بتاريخ ١٩٥٤/١/٣٠ التي نعيد نشرها نظراً لأهميتها لتكون درساً بليغاً للآجيال الصاعدة في الحفاظ على التراث الوطني والتاريخ الأسري .

ولم تفلح جهوده في الحيلولة دون اصدار القرار ففي ١٩٥٨/١٠/٩ صدر قرار محكمة بداءة بغداد المرقم ٥٥/٢٢٩ المصدق من محكمة تمييز العراق ، ونفذ الحكم المذكور وتمت تصفية معظم أعيان الوقف باستثناء بعض الأعيان التي لم تُصفَّ بعد نظراً لجسامة اعيان الوقف المذكور وكثرتها ، وتنفيذاً للحكم المشار اليه جرى تسليم جامع العادلية الكبير والنفقات اللازمة لاعادة بناء جامع العادلية الصغير وإدامة وصيانة الجامعين الى مديرية الاوقاف العامة (وزارة الاوقاف فيما بعد) وقطعة الارض المخصصة لبناء الجامع الاخير في بستان الصرافية ، إضافة الى حصة الجهة الخيرية البالغة عشرة بالمائة من كل عقار تجري تصفيته ، ولم يبق من اثر للواقفة المحسنة سوى قبرها الكائن في حجرة خاصة في المحكمة الشرعية (محكمة الاحوال الشخصية في الرصافة حالياً) .



ملحق (٥)

العريضة التي رفعها الحاج أمين المميز الى رئيس مجلس النواب للحيلولة دون تصفية الوقف الذري

بغداد في ١٩٥٤/١/٣٠

معالي رئيس مجلس النواب المحترم

بعد الاحترام ...

ينظر مجلسكم العالي بلائحة قانون جواز تصفية الوقف الذري وبالنظر لمساس هذه اللائحة بحق طبيعي من حقوقي التي ضمنتها لي ولكثيرين غيري من ذوي العلاقة كافة الشرائع أتقدم اليكم بهذا النداء منادياً به ضميركم وضمائر حضرات أعضاء المجلس العالي :

اني احد ذوي العلاقة بوقف ذري ورثه الجيل الذي انا واحد من افراده من اسلاف خيرين توارثوه خلفاً عن سلف لعدة قرون خلت وقد حافظ الاسلاف على هذه الامانة فأودعه الآن لجيلنا الحاضر المكلف بالمحافظة عليها لتسليمها الى الخلف كما ورثناها بل وأفضل . وقد جاءت هذه اللائحة لتهد ، هذا التراث ولتشتيت شمل هذه الامانة دون ما مبرر .

فالتجأت اليكم بصفتكم رئيساً للهيئة التشريعية المكلفة بالنظر بهذه اللائحة مستجيراً لحمايتي من جور اشعر انه احاق بي وتجاوز أشعر انه وقع على حق طبيعي من الحقوق التي ضمنها لي الشرع الشريف واقرها دستور البلاد واعترفت بها لائحة حقوق الانسان التي شرعتها اسرة الامم المتمدنة التي تنتمي اليها دولتنا وأخيراً أشعر في قرارة نفسي بان حق الفرد في العقيدة والايمان والاحتفاظ بالتراث الاجتماعي وعلى الاخص اذا كان هذا التراث قد لازم تاريخ الفرد لعدة قرون هو حق لا يجوز ان تقيده قوانين الدولة مهما كان الهدف من تشريعها .

سيدي ...

اني سوف لن اناقش هذه اللائحة من الناحية الفقهية فالفقهاء مدعوون لقول كلمتهم وانتم مدعوون لفتح اذهانكم وقلوبكم لاستماعها واني لن اناقش هذه اللائحة من الناحية الدينية أو الروحية فرجال الدين وحماته وعلمائه واعلامه مدعوون لقول كلمتهم وانتم مدعوون لفتح بصائركم وقلوبكم للاصغاء اليها ولن اناقشها من الناحية الاجتماعية أو الاقتصادية فقد قال ذوو الرأي والخبرة كلمتهم ولكنها لم تلق أذناً صاغية .

سيدي رئيس الهيأة التشريعية ...

ان من لا ماض يعتز به لا حاضر له يتشرف به ولا مستقبل له يفخر به والافراد كالامم فكما ان لاخير في أمة لا ترعى ماضيها فلبئس الفرد الذي يقطع بيديه صلة ماضيه بحاضره وبمستقبله تخبطاً وطمعاً وجهلاً . فالوقف يا معالي الرئيس هو تراث نبيل القصد سامي الهدف ولا شائبة فيه كمؤسسة اجتماعية

اقتصادية روحيـة اذا ما عقد اولو الامـر نيتهـم لاصلاحهـا وتهذيبهـا لتطـابق مقتضيات العصر . اما ان يكون التفكير بالاصلاح عن طريق الهدم وازالـة معـالم الاثر وقطع صلة الماضي بالحاضر والمستقبل فهي اساءة لا يغفرها الله ولن تقرهـا الاجيال المقبلة . اننا يا سيدي الرئيس نعيـش ـ مع الاسف ـ في عصر خفت بـه موازين القيم الروحية وطغت فيه نفثات الـروح المادية والنفعية على نفوس البشر وضعف ـ وا أسفاه ـ الايمان وتزعزعه الرحمة في قلوب الناس حتى صـاروا يستخفون بالاحياء وبالاموات . فلا للقديم حـرمته ولا للمقدس قدسيتـه ولا للمجد التليد قيمته ولا للتراث الخالد اعتباره . ولقد ارتفعت معاول الهدم من كل حدب وصوب ولم يسلم منها حتى راقدو القبور .

سيدي الرئيس ...

اني احد ذوي العلاقة بوقف ذري لو قدر الله وأقر مجلسكم العالي لائحة الغائه لكنت من أول المتنعمين بخيراته ومن أكثر المستفيدين من مادته . ولو كنت من الذين يرون ان المادة هي كل ما يعيش المرء من أجلها لكنت أول المرحبين بهذه اللائحة . ولكن في كل مجتمع بشري من قد يرى في القيم الروحية مهما بلغت قيمتها بالسوق الدارج . واني احد افراد هـذا المجتمع من الذين يرون هذا الرأي . فقد وجدت يا سيدي الرئيس نفسي امام امانة سلمت الى الجيل الذي انا منه فتسلمها طائعاً وتسلم معها عهداً بلزوم المحافظة عليها وتسليمها الى الجيل الآخر واني لأشعر بان عليّ واجب الدفاع عن هذه الامانة التي هي في الواقع ليست لي وحدي أو لاحد آخر غيري من أفراد هذا الجيل انما هي وديعة من الاسلاف الى اخلاف ما زالوا في الظهور وفي البطون . فلهذا ليس من حق أحد من هـذا الجيل حاكماً أو محكوماً مشرعاً أو مواطناً ان يتصرف باحوال شخصية

قررتها اجيال سالفة عن طوعها وبرضائها وحق الواقف في تنفيذ شروطه كنص الشارع سواء بسواء .

ثم يا سيدي الرئيس ـ انا لست رجعياً ولا ممن يقولون الخرافات ولا ممن يؤمنون بالادعية وبالتمائم أو يذعنون للأوهام . وانما انا فرد من المسلمين أؤمن بالله وبكتبه وبرسله وباليوم الآخر وفي عنقي لكل ما اؤمن به حق وفي قلبي لكل ما يخص ايماني حرمة ورعاية .

ومن جملة ذلك حرمة الموتى ورعاية حقهم في اموالهم ومراعاة رغباتهم فيما ملكوا واوقفوا . وعندي ايمان قاطع راسخ بان للوقف حرمة .

وان للوقف (حوبة) لابد ان تصيب كل من يسيء الى وقف او يضمر له شراً او يحاول به طمعاً او كسباً . فوالله ما من احد اساء لوقف حتى لقي جزاءه من الله ان عاجلاً او آجلاً فنكب إن بحياته او برزقه او بماله او بمن هو عزيز عليه ، والشواهد على ذلك لاتعد ولاتحصى (وأسألوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون) ..

هذا نداء اوجهه الى مجلسكم العالي فليفكر كل نائب كريم اكثر من مرة ولتدبر امر الله قبل ان يعلن موافقته على الغاء الوقف .

وانتم ياسيدي الرئيس ملتمسين بتدبير الامر ملياً قبل ان تساهموا بخطأ سيحاسبكم الله عليه يوم القيامة حساباً عسيراً (وانما عليك البلاغ وعلينا الحساب) .

سيدي الرئيس ...

ان اصـــلاح الوقف ليس بالامر المستحيل فلم تجر اية محاولة جدية لاصلاحه واني لاتحدى كل مدعٍ بان الالغاء هو افضل طرق الاصلاح فلتجرب الحكومة طرق الاصلاح فاذا لم تتحقق الغاية كان لها امام الله والتاريخ مبرراً لاقدامها على الالغاء .

فارجوا ان تتفضلوا بتوزيع عريضتي هذه على حضرات النواب عندما يدعون لابداء رأيهم بصدد اللائحة حتى يكونوا على بينة من خطورة الامر الذي سيقررون وحتى لا يُشكلوا ذممهم ويظلموا ضمائرهم من حيث لا يعلمون .

وان الله لا يضيع اجر من احسن عملاً

أمين المميز

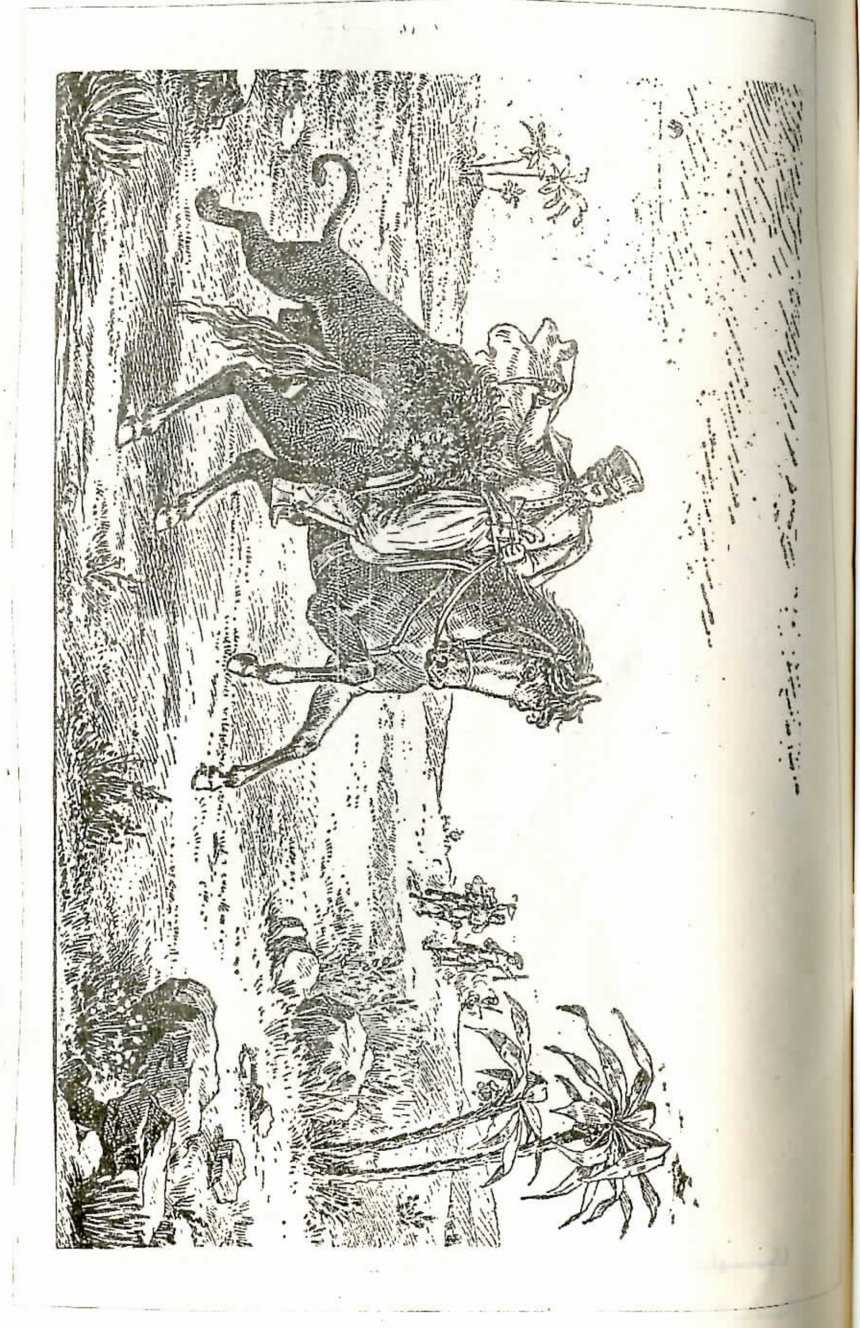
صاحب علاقة بوقف ذري

صورة الى :-

فخامة رئيس الوزراء

معالي رئيس الديوان الملكي

معالي وزير الدولة لشؤون الاوقاف



الوزير أحمد باشا والأسد - تقويم أبي الضيا توفيق

والي بغداد الوزير أحمد باشا في اثناء صيده الأسود في هور عقرقوف قرب بغداد ١١٤٥هـ / ١٧٣٢م وهي الحادثة التي أدت الى أن يبدي تابعه سليمان آغا من الشجاعة والأخلاص ماجعل احمد باشا يزوجه أبنته الكبرى عادلة خاتون







مئذنة جامع العادلية الكبير

وقد تصدعت أثناء العدوان الثلاثيني على العراق سنة ١٩٩١ وتداعى (ميلها) ولم يستعاد الى موضعه حتى الآن .

الباب الرئيسي لجامع العادلّية الكبير المقابلة لمدخل المحكمة الشرعية (محكمة الأحوال الشخصية حالياً) وقد تصدّع الجامع ومئذنته من جراء العدوان على العراق سنة ١٩٩١م .

جامـــع العادليـــة الكبير الواقـــع فـــي شـــارع المستنصـــر

(شـــارع النهـــر - رأس القرية)

وقد شيدته عادلة خاتون مع المدرسة الملحقة به عام ١١٦٨هـ الموافق ١٧٣٥م . لقد تهدم البناء القديم للجامع فأعيد بناؤه وفق الطراز الأندلسي من قبل المتولين على وقف عادلة خاتون عام ١٩٣٧م غير انه تصدع جراء العدوان على العراق عام ١٩٩١م .





جامع عادلة خاتون في الصرافية

شيد سنة ١٩٦٣ عوضاً عن جامع عادلة خاتون الصغيـر الواقع فـي محلـة الدنكجيـة مقابل المتحف البغدادي ، ويقـع الجامع الجديد على القطـعة ٦/٦ مقاطعـة ٣٨ الصرافيـة ، وقد تصدع آبان العدوان على العراق عام ١٩٩١م





المغفور له ابراهيم أفندي المميز

المتولـــي علـــى وقـــف عادلـــة خاتون من ١٨٨٠ الى ١٩٠٥ والذي قـــام بمعظـــم اصلاحـات الوقف، أغتيل - رحمه الله - في قضاء الشامية سنـــة ١٩٠٥ في اثنـــاء اداتـــه واجبـــه هنـــاك ودفـــن فـــي الساحـــة المجـــاورة لمرقد الأمام علي (ع) في النجف الأشرف .



المغفور له عبدالستار بك بن عبدالجبار بك المميز

آخر المتولين على وقف عادلة خاتون قبل تصفيته سنة ١٩٥٨

مصادر الكتاب

اولاً : الوثائق غير المنشورة

١. وزارة الاوقاف والشـؤون الدينية ، ارشيف الوقفيات والاعلامات والحجج الشرعية المحفوظة في وزارة الاوقاف .

٢. وثائـق اسريـة وكتـب رسمية محفوظة لدى الحاج امين المميز ، متولى ادارة وقف عادلة خاتون المصفى .

ثانياً : المخطوطات

١. الـدروبي ، ابـراهيم بن عبـد الغني : بداية الوقف ونهايته . نسخة بخط مؤلفها في مكتبة الاقاف المركزية ببغداد .

٢. الـراوي ، محمد سعيد : تاريخ مساجد بغداد . نسخة بخط مؤلفها مصورة في خزانتنا .

٣. رؤوف ، عمـاد عبـد السلام : تاريخ الخدمات النسوية العامة في العراق نسخة على الآلة الكاتبة معدة للنشر .

٤. السـويـدي ، عبـد الرحمن : حـديقة الزوراء في سيرة الوزراء (نسخة المتحف البريطاني) .



الحاج محمد أمين المميز المتولي الحالي لأدارة وقف عادلة خاتون المصفى

٥. عبادة ، عبد الحميد : العقد اللامع في المساجد والجوامع (نسخة مصورة لدينا) .

٦. عباس بن جواد : نيل المراد في احوال العراق وبغداد (نسخة مكتبة الدراسات العليا ، كلية الاداب ، بغداد) .

ثالثاً : الكتب المنشورة

١. الاعظمي ، وليد عبد الكريم : جمهرة الخطاطين البغداديين (بغداد ١٩٨٩) .

٢. الآلوسي ، محمود شكري : مساجد بغداد وآثارها ، تهذيب الشيخ محمد بهجة الأثري (بغداد ١٣٤٦هـ) .

٣. اوليفييه: رحلة اوليفييه الى العراق، ترجمة يوسف حبي (بغداد ١٩٨٨) .

٤. خيّاط ، جعفر : صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة (بيروت ١٩٧١) .

٥. الدروبي ، ابراهيم : البغداديون ، اخبارهم ومجالسهم (بغداد ١٩٥٨) .

٦. رسل ، برتراند : السلطان ، آراء جديدة في الفلسفة والاجتماع ، ترجمة خيري حماد (بيروت ١٩٦٢) .

٧. رؤوف ، عماد عبد السلام : التأريخ والمؤرخون العراقيون في العصر العثماني (بغداد ١٩٨٣) .

٨. رؤوف ، ________ : القوى والمؤسسات العسكرية العراقية من الغزو المغولي الى اقصاء المماليك عن حكم العراق ، موسوعة القوات العراقية المسلحة ج١ (بغداد ، وزارة الدفاع ١٩٨٦) .

٩. رؤوف ، ________ : الاسر الحاكمة ورجال الادارة والقضاء في العراق في القرون المتأخرة (بغداد ١٩٩٢) .

١٠. رؤوف ، ________ : عبد الله السويدي ، سيرته ورحلته (بغداد ١٩٨٨) .

١١. ريج ، كلوديوس : رحلة ريج الى العراق عام ١٨٢٠ ، ترجمة بهاء الدين نوري (بغداد ١٩٥١) .

١٢. سليمان فائق : تاريخ المماليك الكوله مند في بغداد ، ترجمة محمد نجيب ارمنازي (بغداد ١٩٦١) .

١٣. سليمان فائق : مرآة الزوراء في سيرة الوزراء ، ترجمة موسى كاظم نورس ، ونشر بعنوان تاريخ بغداد (بغداد ١٩٦٢) .

١٤. الشيخلي ، محمد رؤوف : المعجم الجغرافي لمدينة بغداد القديمة بين سنة ١٢٧٠ ـ ١٣٦٠هـ (البصرة ١٩٧٧) .

١٥. العزاوي ، عباس : تاريخ العراق بين احتلالين . ج٥ و ج٦ (بغداد ١٩٥٣ و ١٩٥٤) .

١٦. العطية ، وداي : تاريخ الديوانية (النجف ١٩٥٤) .

١٧. العمري ، ياسين : مهذب الروضة الفيحاء في تواريخ النساء ، تحقيق رجاء محمود السامرائي (بغداد ١٩٦٦) .

١٨. قه فتان (قفطان) ، توفيق : ميزووي حوكمدارلي بابان له قه لا جوالان (بغداد ١٩٦٩) .

١٩. الكركوكلي ، رسول حاوي : دوحة الوزراء في وقائع بغداد الزوراء ، ترجمة موسى كاظم نورس (بيروت دون تاريخ) .

٢٠. كوك ، ريجارد : بغداد مدينة السلام ، ترجمة مصطفى جواد وفؤاد جميل ج٢ (بغداد ١٩٦٨) .

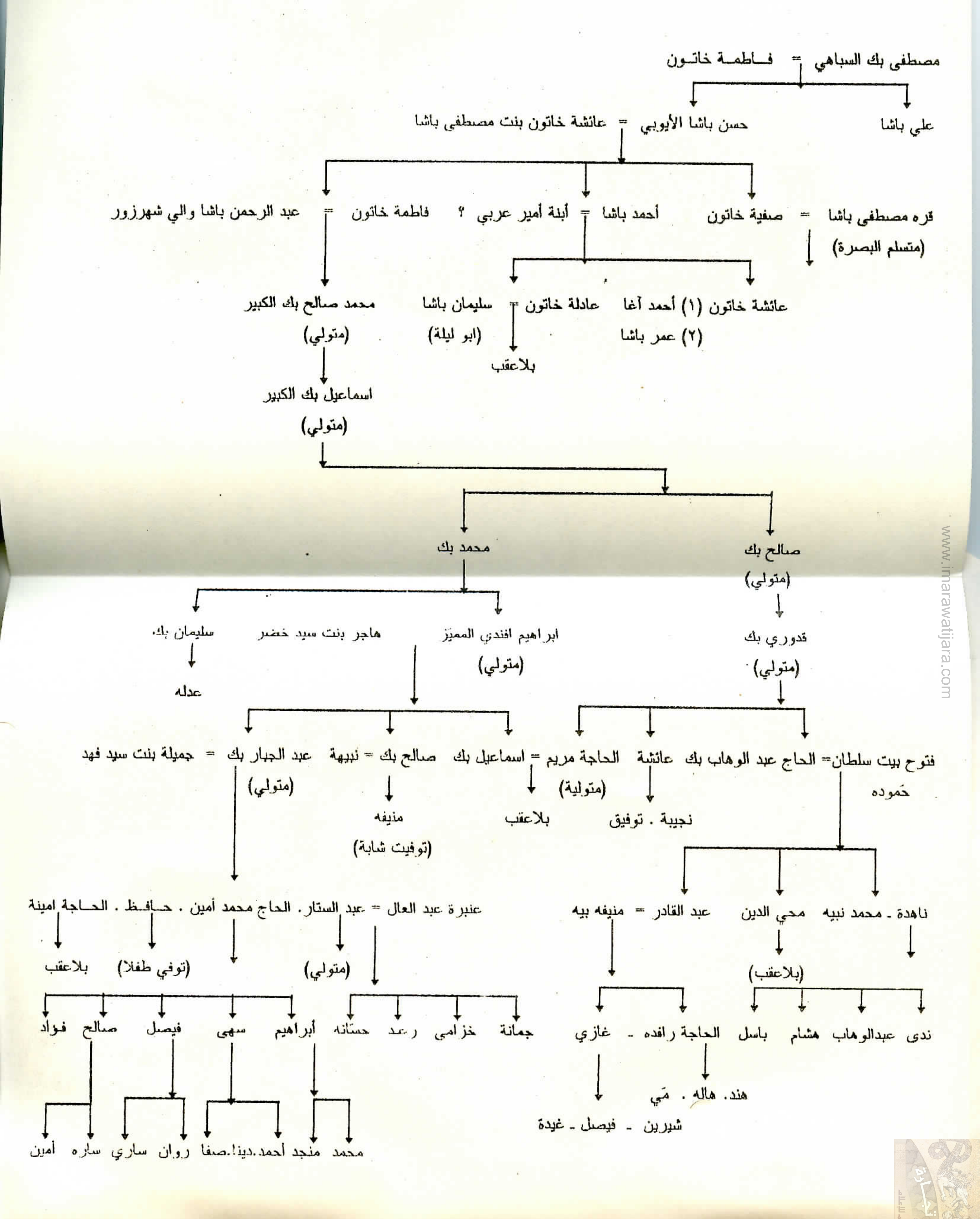
٢١. لـوريمـر ، ج . ج : دليـل الخليـج ، ترجمة ديوان امير قطر . القسم التاريخي .

٢٢. لـونكـريك ، همسلـي : اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ترجمة جعفر خياط طبعة رابعة ، بغداد .

٢٣. المميز ، امين : بغداد كما عرفتها (بغداد ١٩٨٥) .

٢٤. نيبـور ، كـارستـن : رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن عشر ، ترجمة محمود الامين (بغداد ١٩٦٥) .

٢٥. **Nieurwehuis , T. , Politics and Society in Early Modren Iraq (Amsterdam 1982) .**


شجرة عائلة حسن باشا الأيوبي جد عادلة خاتون
مصطفى بك السباهي = فـاطمـة خاتـون
علي باشا
حسن باشا الأيوبي = عائشة خاتون بنت مصطفى باشا
قره مصطفى باشا = صفية خاتون
(متسلم البصرة)
أحمد باشا = أبلة أمير عربي ؟
فاطمة خاتون = عبد الرحمن باشا والي شهرزور
عائشة خاتون (١) أحمد آغا
(٢) عمر باشا
عادلة خاتون = سليمان باشا
(ابو ليلة)
بلاعقب
محمد صالح بك الكبير
(متولي)
اسماعيل بك الكبير
(متولي)
صالح بك
(متولي)
محمد بك
قدوري بك
(متولي)
ابراهيم افندي المميز
(متولي)
هاجر بنت سيد خضر
سليمان بك
عدله
فتوح بيت سلطان= الحاج عبد الوهاب بك
حَموده
عائشة
نجيبة . توفيق
الحاجة مريم
(متولية)
اسماعيل بك
بلاعقب
صالح بك = نبيهة
منيفه
(توفيت شابة)
عبد الجبار بك = جميلة بنت سيد فهد
(متولي)
ناهدة - محمد نبيه
محي الدين
(بلاعقب)
عبد القادر = منيفه بيه
ندى عبدالوهاب هشام باسل
الحاجة رافده - غازي
هند. هاله . مَي
شيرين - فيصل - غيدة
عنبرة عبد العال = عبد الستار. الحاج محمد أمين . حـافـظ . الحـاجة امينة
(متولي)
(توفي طفلا)
بلاعقب
جمانة خزامى رعد حسّانه
أبراهيم سهى فيصل صالح فواد
محمد منجد أحمد.دينا.صفا روان ساري ساره أمين



المحتوى



٩٢٣٫٢
ع ٨٢٤ عماد عبدالسلام رؤوف
عادلة خاتون : صفحة من تاريخ العراق/
تأليف عماد عبدالسلام رؤوف - بغداد:
مطبعة الكتاب، ١٩٩٧.
٨٦ ص، ٢٤سم
١. عادلة خاتون (١٧١٧م-١٧٦٨م)
- تراجم - سياسية أ. العنوان
م ٠ و ١٥ / ١٩٩٧

المكتبة الوطنية «الفهرسة أثناء النشر»

رقم الأيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٥ لسنة ١٩٩٧

صورة الغلاف: سيدة عربية نبيلة من العصر العثماني، من مجموعة السيد زين النقشبندي

عادلة خاتون
صفحة من تاريخ العراق



تأليف

الدكتور عماد عبد السلام رؤوف
الاستاذ في جامعة بغداد



ي سيرة السيدة عادلة خاتون
توفاة سنة ١١٨٢ هـ/ ١٧٦٨م)
، والي بغداد احمد باشا، صفحة
ة من تاريخ العراق الحديث، فقد
مت هذه السيدة، التي اشتهرت
زم والحنكة السياسية، في يدها
اليد السلطة المطلقة أبان حكم
جها والي بغداد سليمان باشا أبي
ة ونجحت من خلال موقعها المتميز
ي سراي بغداد، في تكوين اول
كتل» أو «جمعية سياسية» في
ريخ العراق الحديث، كما تألق
رها في أنفاذها الحملات العسكرية لضرب حركات أنفصالية كانت تنذر
واقب وخيمة على وحدة العراق وبرز حبها للخير في انشائها الخدمات العامة
ئتها ومجتمعها، وبضمنها مساجد، ومحكمة، وخانات، ومرافق مدنية مختلفة
ي بغداد وخارجها، فالكتاب هو دراسة لهذه الجوانب جميعاً، في محاولة لاعادة
سم شخصية تلك السيدة القوية، التي جمعت بين الحزم والرحمة، وبين اعمال
سياسية واعمال البر والخير.

المؤلف

مطبعة الكتاب - بغداد